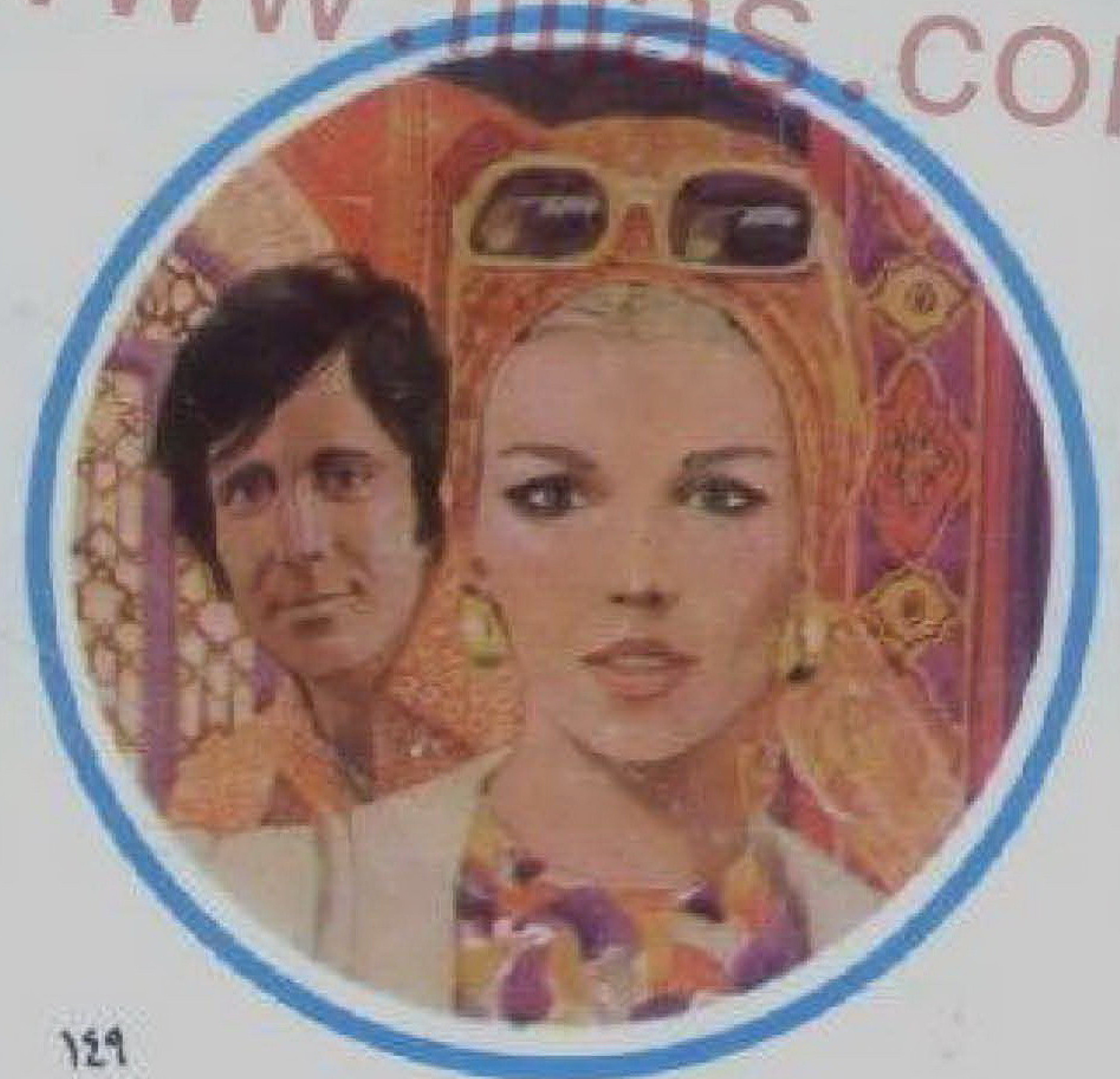
روايات عبير



مارجري لوتي

الرّاية البيضاء



١٤٩

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 149

الراية البيضاء

كثيراً ما يظهر الانسان عكس حقيقته. سارة وضعت نفسها في قفص الاتهام، ووصفت بأنها لصة تخطط للاستيلاء على ثروة زوجها الذي توفي يوم زفافه في حادثة قطار.

شقيقه الأكبر جايسون، شك بأمرها وأمر عمها رالف، وبدأ يلاحق تصرفاتها ويحاول بشتى الوسائل القضاء على أفكارها، لمنعها من الوصول الى هدفها.

ثار وهواه في مواجهة شتاء الحقد والشك والكراهية. جايسون طوقها بزنار من هواجسه الكاشفة، وراح يزيد الجدران حولها حتى أصبحت سجينة رحمته وشفقة نظراته.

وما أثار غضب عمها... استسلامها للقيود وعدم مقاومتها حربها الطاحنة مع الرجل الشرس. ولكن لكل حرب نهاية... وعلى احدى الجهات ان ترفع العلم الأبيض وتعلن انكسارها... فمن منها يستسلم أولاً ويسلم أموره للحب؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
PRISONER IN PARADISE

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١- بداية الحب... صفحة

من المكان الظليل الذي كانا جالسين فيه قرب المسبح التابع للفندق، امكنهما ان يشاهدا منظر خليج اكابولكو الرائع المنتشر على امتداد البصر تحتهما، تعلوه سماء زرقاء خالية الا من غيمة واحدة.

وكانت الشمس المكسيكية تبهر بنورها كما لو انها لم تتوقف من قبل ولن تتوقف من بعد، والمدى الرملي الذي على شكل هلال، يرى من خلال سقف النخيل سهلا متراصلا لا تقطعه، هنا وهناك، سوى أكوام من الصخور السوداء. وكان البحر، فيما وراء ذلك المدى الرملي، بلون الياقوت الأزرق وقد نقطته اشرعة المراكب بألوانها الزاهرة.

كان كل شيء يفوح برائحة الحر والبحر وعبير الطيوب التي كانت تهب مع نسيم المساء، من احد أشهر المنتجعات الراقية في العالم كله.

وكانت القيلولة في غرف الفندق المبردة قد انتهت، وبدأ النزلاء يخرجون وهم يسترون أجسامهم البرونزية استعداداً للسباحة او التزلج على الماء او الغطس او ما الى ذلك من انواع الرياضة، او لمجرد الاستلقاء في حر الشمس للتفكير في ما يليق ارتداؤه على العشاء، ولقضاء ساعات الليل الأولى.

واستند الشاب الأسمر ذو الملامح القمحية الى مرفقه ليحدق في الفتاة المضطجعة بجانبه ويقول لها:

- هذه هي الجنة... ولا يعوزها الملائكة! وانا لا اطلب الا ان

يكون لي ملاك واحد. . . هو سارة.

قال ذلك مداعباً، ولكن عينيه الزرقاوين في وجهه الواضح المشرق جعلتا كلامه على محمل الجد.

وادارت الفتاة رأسها نحوه وأجابت:

ـ لا أظن اني ملاك، تيم. . . ولكن شكراً في كل حال.

وتناولت قبعتها التي سقطت من على قمة رأسها ووضعتها جانباً على العشب المحيط بالمسبح.

وكانت سارة، في ذلك المكان الذي يغص بالفتيات الجميلات، ذات جمال غير عادي. فجسمها، وهي ترتدي لباس البحر، أبرز بشرتها الملوحة بحرارة الشمس وقامتها الفارعة الهيفاء. وكان شعرها المكثف، من وجهها النضر المستدير ذا بريق أحمر كالذهب. غير ان عينيها الواسعتين البنفسجيتي اللون وراء رموشها الكثيفة هما مستودع سحرها وعنوان فتنتها. ولم تكن سارة جاوزت الثامنة عشرة من عمرها.

وقال لها رفيقها الشاب:

ـ ليتني شاعر، فاقول فيك اجمل الكلام

وتناول احدى يديها وراح يداعب أناملها، واحدة واحدة. وسحبت يدها بعد لحظة وتطلعت الى الفندق من فوق كتفها.

فقال لها تيم:

ـ لا تقلقي يا سارة. . . فزوج امك ليس هنا . . رأيته مع ذلك الرجل الثري ومرافقيه، وأنا خارج من الفندق منذ قليل.

فقطبت جبينها لأنها تذكرت ان رالف فرنيس زوج امها، أخذ منذ بضعة أيام يقامر مع ذلك الرجل الثري الذي يدعى سوراتو، ويبدو انه كان يخسر، ولكن لا احد في مقدوره ان يعلم مبلغ الخسارة ولا قدرته على تحملها. ولكنها شعرت بتبدل في تصرفاته. فأصبح أقل مرحاً وبشاشة، برغم احتفاظه بما اعجبها من حلاوة في المحضر ورصانة في التفكير.

وعاد تيم الى الكلام يقول لها:

ـ اشعر يا سارة ان رالف لا ينظر بعين الرضى الى علاقتنا، فهل تعرفين لماذا؟ انا لم اسيء اليه في شيء.

فأجابته على الفور:

ـ لا أرى سبباً يحمله على معاداتك يا تيم. . . وهو فوق ذلك لا يعرفك!

فقال لها:

ـ عندما وانا خارجين من المسبح هذا الصباح لاحظت على وجهه امارات الغيظ الشديد. . .

فأجابت قائلة:

ـ لا وجود لهذا الأمر الا في مخيلتك يا تيم

قالت ذلك وهي تعلم انه كان على حق في ما لاحظه. فزوج امها لم يشجع أياً من الشبان الذين حاموا حولها، منذ ذلك اليوم الذي اخرجها فيه من المدرسة الداخلية، لتكون رفيقته في حله وترحاله. ومن أولئك الشبان طوني باوتز في موناكو، وذلك المحامي الذي صادفته في فنادق باهاما، وكثيرون سواهم من الذين لم تطل علاقتها بهم. ذلك لأن رالف، ما ان يلاحظ ان العلاقة اصبحت جدية، حتى يسارع الى انذارهم بقطعها. ولم تكن تدري ماذا كان يقول لهم ولا كيف كان يقنعهم.

وكان يفعل ذلك مع سارة ايضاً. غير ان ذلك لم يكن يزعجها لاعتقادها بأنه انما كان يفعل ذلك حرصاً منه على الاحتفاظ بها. فكان يقول لها بابتسامته الناعسة:

ـ لا أظنك تبالين بذلك الشاب يا عزيزتي. الا توافقين معي انه مراهق؟ انا لا أنوي ان أدع احداً يأخذك مني بعد. . . الا تسرك رفقتي؟

وكانت سارة تقنع نفسها بأن ما يقوله صحيح فهي في رفقته على أحسن حال، وان كان لم يهتم بأمرها طوال تلك السنين التي تلت وفاة

والدتها وهي في السابعة من العمر. فقد يكون له عذره، هكذا شاءت ان تعتقد. ثم انه كان يعشق الحياة الصاخبة التي لا تتناسب مع وجود أولاد. غير انه عوض عن ذلك منذ حين، عندما اخرجها من المدرسة الداخلية لتعيش معه. وعادت الذاكرة الى اليوم الذي زارها فيه، وهي بعد في المدرسة، وكانت في السابعة عشرة، وقال لها:

- آه، يا الهي... كم تغيرت، اصبحت فتاة رائعة الجمال! هيا بنا نخرج من هذا المكان، لأنه لم يعد يليق بك...

وحين دخلت رئيسة المدرسة أعلن لها انه سيخرجها من المدرسة في نهاية الفصل الدراسي، لتبني مستقبلها معه.

وسر ذلك رفيقاتها وصاحبها قائلات:

- ليت لنا زوج ام مثله يا سارة... ولكن الدنيا حظ ونصيب... اخبرينا ماذا يشتغل في الحياة، وكيف أصبح غنياً الى هذا الحد؟

وقهقهن ضاحكات. كان ذلك منذ سنة، وهي اليوم لا تزال تجهل الجواب عن ذلك السؤال. كل ما تعرفه هو انهما ينتقلان من فندق الى آخر في موناكو وايطاليا والريفييرا الفرنسية وجزر الباهاما... والآن في مكسيكو.

وكان رالف يستقبل بترحاب حيثما حل، فله اصدقاء كثيرون وهم من علية القوم. وكان يغدق الهدايا على سارة ويكثر من تعريفها على الأصحاب والأصدقاء. وكان ذلك يفرحها بعد سنوات من العيش في المدرسة الداخلية، كيف لا، وهي الآن تنعم بكل ما في الحياة من حرية ورخاء ورفاهية.

وكان رالف لا يدعها تستقر على حال في أي مكان، خصوصاً اذا راقت لها عشرة احد الشبان. فكان يقول لها:

- سنغادر اليوم يا عزيزتي، فهذا المكان أصبح مضجراً...

يحزمان حقائبهما في الحال، ويطيران الى منتجع آخر، حيث يكون

على سارة ان تبدأ حياتها من جديد. وغالباً ما كان الرجال الذين تتعرف عليهم من عمر رالف، اي في الاربعين او الخمسين. ولكن حالما يبدي احد الشبان اهتماماً بها كان رالف ينذره بطريقته الخاصة فيبتعد عنها. ولم تهتم لذلك لأنها لم تكن تقع في غرام اي واحد منهم ثم انه كان يطيب لها ان ترى رالف حريصاً كل ذلك الحرص على ان لا يدعها تبتعد عنه في مستقبل قريب.

غير ان تيم لم يكن في نظرها مثل سائر اولئك الشبان الذين عاشرتهم... كانت تشعر نحوه بعاطفة شديدة، ولذلك صعب عليها ان تتحمل فراقه في آخر الاسبوع. ولم يسرها على الاطلاق قول رالف لها على الغداء ذلك النهار:

- ألا تعتقدين انك تكثرين من ملازمة ذلك الفتى يا عزيزتي سارة؟!

قال ذلك بابتسامته المهذبة التي تفصح بالكبرياء والثقة بالنفس، كما لو انه كان متأكداً من موافقتها على كلامه. غير انها هذه المرة قالت له:

- اميل الى تيم، وأنا متأكدة انك تميل اليه ايضاً اذا تعرفت عليه جيداً. فهل توافق على دعوته الى العشاء اليوم مع أخيه الذي سيغادر المكان غداً، بينما يبقى هو الى ما بعد نهاية الأسبوع؟

فأجابها رالف مظهراً أسفه:

- لا يمكنك ذلك يا عزيزتي، لأني وعدت كارلوس سورانو واليتوس وزوجته بتناول طعام العشاء معهم.

- كارلوس سورانو؟

- لماذا لا؟ قلت، على ما أعلم، تميلين اليه.

فهزت كتفيها وأجابت بدون ان تنكر ذلك:

- لا اميل اليه كثيراً... وأنا لا احب الطريقة التي ينظر بها الي.

فقهقه رالف ضاحكاً وقال:

- هذه عادة الاسبانيين يا عزيزتي، فهم يظهرون اعجابهم

بصراحة تامة اذا رأوا فتاة جميلة. وأنت فتاة جميلة، بل اجمل فتاة في هذا المنتجع

- يا لك من مداح عظيم!

قالت ذلك ضاحكة، ولكن الغم ملأ قلبها لأنها ستقضي ليلة اخرى في صحبة ذلك الرجل الثري، ذي الشفتين المتراخيتين المبللتين والشعر القليل

فقال لها رالف:

- هذا ليس مديحاً يا صغيرتي، بل الحقيقة... وكارلوس معجب بك جداً...

وبدت على وجه رالف امارات الرضى، مما أدهش سارة وجعلها تتساءل في نفسها: لماذا يرضيه ان يكون كارلوس معجباً بها؟ ولم تجد تفسيراً لذلك سوى ان رالف قد يكون طامعاً في عقد صفقة مع الرجل...

عاد ذلك كله الى ذاكرتها وهي مضطجعة بجانب تيم تحت حر الشمس اللاهب. كان تيم يحدق فيها طوال الوقت، ثم تناول يدها وقال:

- لي ما أقوله لك يا سارة...

وتوقف قليلاً ثم تمتم قائلاً:

- ما أريد قوله ليس سهلاً كما ظننت... ما أريد قوله، يا حبيبتي سارة، هو انني مغرم بك الى أقصى حد!

فلم يرق ذلك لسارة. فهي لم تكن تريد ان تسبب له اي اذى، لأنهما لا بد سيفترقان قريباً. فقالت له:

- ولكنك تعلم يا تيم اننا لم نتعارف الا منذ بضعة أيام!

فأجابها قائلاً:

- أيام، أسابيع، سنين، لا يهم. ما يهم اني وقعت في غرام فتيات كثيرات من قبل، او حسبت اني وقعت في غرامهن. اما في شأنك فالأمر يختلف كل الاختلاف. وما ذلك لأنك فقط جميلة وحلوة

وخفيفة الظل، بل لأني احسك هنا في قلبي وفي اعماق كياني...

فصاحت به متوسلة:

- لكن يا تيم...

ولكنه لم يتوقف عن الكلام، بل تابع قائلاً:

- يجب ان تصدقيني يا سارة... انا اعلم اني أمرح وأمزح واتظاهر بأني لا أبالي بشيء، كما هي الحال مع كل واحد هنا. اما في الواقع فانني تعس في داخلي لأنني سأفارقك بعد يومين وقد لا القاك ثانية...

فأجابته قائلة:

- آسفة يا تيم، ولكني لا اعلم كيف...

فقاطعها بقوله:

- اعلم ما تريدين أن تقوليه يا سارة... بل عديني انك لن تقطعي صلتك بي بعد ان اعود الى نوروسه.

- نوروسه؟ [illegible] في نوروسه، انا أعرف المكان جيداً، [illegible] وترعرعت هناك، في المدرسة القريبة من بورغوت.

- يا الهي، أصحيح هذا؟ يا لها من مصادفة سعيدة.

وبرقت عيناه الزرقاوان من شدة الحماسة وتابع مستدركاً:

- لا... ليس في الامر مصادفة، بل انه القدر كما يقولون.

وعوض ان تخمد سارة النار زادت في ايقادها، حتى بلغت الحماسة بتيم حد القول لها:

- سارة، حبيبتي، ما رأيك في ان نعلن خطوبتنا؟

وراح ينظر، من وجهها الذي غمرته الدهشة وتابع قائلاً:

- ان نعلنها في الحال اذا شئت، لئلا يقال اننا بعد صغار السن، بل نعقدها سراً فيما بيننا

فقالت له وهي تكاد تنفجر ضاحكة:

- كفى يا تيم، كفاك حماسة. اشكر لك كلامك الحلو، ولكن ما تقترحه هذا مستحيل. الا ترى اني لست مغرمة بك...

ولاحظت سارة ما أصابه من ذهول عند سماع كلامها، فسارعت الى الاستدراك:

- لم أقع في غرام احد بعد... بالمعنى العميق لهذه العبارة. ولعل السبب اني لم احظ في حياتي بعد بمعاشرة الشبان الذين من جيلي... فلم اترعرع في بيت عائلي حقاً، لان والدتي ماتت وأنا صغيرة فعشت في مدرسة داخلية الى السنة الماضية. نعم، كنت اقضي العطلة احياناً عند بعض صديقاتي، ولكن اخوتهن كن أصغر مني سناً...

وابتسمت مازحة وهي تضيف:

- وهكذا ترى اني عشت حياة كلها أمان واطمئنان!

ولكن تيم لم يبتسم لانه كان، على ما يبدو، يفكر بحجة لاقناعها بوجهة نظره.

وقال وقد ظهرت عليه امارات القلق:

- ولكنك على الأقل تشعرين نحوي ببعض الحب يا سارة قولي لي ذلك بصراحة ولا تبتعدي عني حين ألامسك!

فشدت على يده وأجابت:

- أنا اميل اليك يا تيم.

- وهل تسرك رفقتي؟

- نعم، وكيف لا؟

فاقترب منها وحاول معانقتها، ثم ابتعد قليلا وحدق في عينيها قائلا:

- آه، ما أجملك يا سارة وما أحلاك.

وتطلع الى وجهها ملياً ثم انتصب جالساً وقال:

- سنقضي حياتنا معاً يا حبيبتي، وسنكون سعداء.

ثم أدار وجهه فرأى اخاه فقال:

- يا لسوء الطالع... ها هو اخي، ولا بد انه جاء كعادته ليكلفني بمهمة ما.

وأجالت سارة نظرها فشاهدت جايسون ثايت يقترب من الضفة

المقابلة للمسبح. ولم تكن شاهدته سوى مرتين من قبل، فلاحظت انه كان متجهماً ولا يشبه اخاه تيم في شيء. وكان تيم أخبرها بأنهما كانا في ذلك المنتجع لقضاء مهمة تجارية الى جانب رغبتهما في قضاء العطلة الاسبوعية. وأخبرها كذلك بأنه انهى منذ حين دراسته في كامبريدج وهو الآن يتدرب على القيام بالعمل التجاري الذي تتوارثه العائلة... وهو عمل له علاقة بالسفن. ولم يخف عنها انه كان يضيق ذرعاً بمثل ذلك العمل، ولكنه لم يكن يعتقد انه كان بامكانه ان يتهرب من المشاركة فيه.

وسار جايسون نحوهما الى ان وصل اليهما. وفي حين كان جميع الرجال هناك في لباس السباحة، أصر جايسون على ان يلبس بنطالا قصيراً وقميصاً من الكتان على كتفيه العريضتين.

وشعرت سارة بالاشمئزاز من ذلك الرجل الطويل القامة المعتد بنفسه، القطب الجبين... وشعرت بذلك حتى قبل ان ينطق بكلمة، وهي التي لم يكن من عادتها ان تتسرع في اصدار حكمها على الآخرين.

وتجاهلها جايسون وخاطب أخاه مباشرة بقوله:

- انهيت القسم الموكل الي من المهمة يا تيم، وبقي عليك انت ان تدرس أوراق الطلبات وهي موضوعة على الطاولة في غرفة النوم. وخير لك ان تبادر الى ذلك في الحال لأني احب ان اطلع عليها انا ايضا قبل ان اغادر هذا المكان في الصباح الباكر.

والتفت تيم نحو سارة مبتسماً، ثم نهض واقفاً على قدميه وقال:

- الواجب يدعو، وعليّ ان أطيع.

ثم انحنى ولامس شعرها بشفتيه وقال لها:

- لا تنسي ما قلت لك يا حبيبتي.

واتجه بخطوات ثابتة نحو الفندق.

وتوقعت سارة ان يلحق به اخوه، ولكنه لم يفعل، بل جلس في المكان الذي اخلاه وقال لها بصوت اجش:

- لي ما أقوله لك يا آنسة تيلدسلي

ثم جال نظره فوق جسمها على نحو جعل الدم يسري حاراً في عروقها. فلم يكن في أكابولكو كلها فتاة تلبس أي شيء سوى لباس البحر في ذلك النهار الخانق. غير ان هذا الرجل سمح لنفسه ان يجعل من ذلك سبباً يخول له اهانتها بنظراته.

وعدلت سارة جذعها وتناولت قبعتها القش الكبيرة وامسكتها امامها. وكانت تؤثر ان تجلس منتصبة، وقدماها على الأرض، لمواجهة ذلك الرجل. غير انها اذا فعلت ذلك، فلا بد لها، لضيق المكان من ان تلامس ساقيه، وهو امر أرادت ان تتجنبه على الرغم من كل شيء. فما كان منها الا ان أبقت القبعة امامها بمثابة حجاب بينها وبينه، وراحت تحدق اليه ببرودة وتهيء نفسها لسماع ما أراد ان يكلمها به. وقال لها:

- اظنك تعلمين ما أريد ان أكلمك به.

- وكيف لي ان أعلم؟

- ألا تعلمين؟ اذن اسمعي، اريدك ان تتركي اخي وشأنه!

- ماذا؟ أنت... تريدني... ان...

وأعياها الكلام غير مصدقة ما يقوله لها. وفيما هي كذلك سمعته يقول:

- انظري... لا تضيعي الوقت. فوقتي ضيق، ولدي عمل يجب ان انجزه الليلة.

فصاحت به سارة غاضبة:

- اذن، فما عليك الا ان تذهب في الحال وتنجزه. واعتقد ان هذا الحديث طال اكثر مما يجب!

وحاولت الابتعاد عنه، ولكنه امسك بمعصمها بقساوة فصرخت في وجهه:

- دعني... دعني وشأني!

فرفع حاجبيه الأسودين الكثيفين وقال متهكماً:

- لا تصرخي... والا حسبوا ان صراخك صرخة جنية في أكابولكو!

فتمالكت سارة نفسها وقالت له بصوت هادئ:

- حسناً، ارفع يدك عن معصمي فاستمع الى ما تريد ان تقول لي.

فنظر اليها ملياً قبل ان يفلت يدها. وأدركت ان صدرها كان يعلو ويهبط من شدة الغيظ، حتى كاد يزيح عنه قطعة القماش الصغيرة التي كانت تستره.

وقال لها:

- لا تقلقي ولا تنزعجي يا آنسة تيلدسلي، فأنا لا احمل لك أية ضغينة شخصية، بل لو كنت في ظروف اخرى، لتصرفت نحوك تصرف المعجب بك. لكن القضية الآن تتعلق بأخي الأصغر الذي أعماه، على ما يبدو، سحرك الأخاذ، وأخشى ان تبدر منه أعمال طائشة لا [illegible].

فحملقت فيه، وقد استولت عليها الدهشة، وقالت له بعصبية:

- انت رجل وقح يا سيد نايت... فابتعد عني!

فلم يرق له هذا الكلام، ولكنه تمالك نفسه ونظر اليها بعينيه الباردتين وقال:

- يبدو لي انك فتاة عنيدة وتحاولين ان تتصرفي كمن اهينت كرامتها! فلأؤكد لك، يا آنسة تيلدسلي ان هذا لا يؤثر عليّ... قد يؤثر على اخي الأصغر تيم، لأنه لا يزال ساذجاً. اما انا فأتيح لي اكثر منه ان أرى مساوئ هذا العالم الشرير، ولذلك اشعر بمسؤوليتي عنه

فقالت بحدة:

- مسؤوليتك عنه؟ هذا كلام هراء. فتيم بلغ سن الرشد وهو يجب ان يكون مسؤولاً عن نفسه.

- قلت يجب ان أكون مسؤولاً عنه وأكرر هذا القول. جئت به الى هنا، الى هذا المكان البعيد عن محل سكنانا، وانا الذي رباه منذ

الطفولة. ولا أريد ان أقول اني اشعر نحوه بعاطفة الأبوة، ولكني تحاشي ما أمكنني ان أرى تعبي في تربيته يذهب سدى في سبيل شيء لا معنى له... مثلك يا عزيزتي!

ولم تعد سارة قادرة على الصبر، فما كان منها الا ان صرخت في وجهه:

- لن أقول لك، اكراماً لتيم، كل ما أريد ان اقوله، فاكتفي بالقول انك رجل سخيف تثير القرف!

واتسعت حدقتا عينيها من شدة التأثر، فيما نهض جايسون ووقف الى جانبها بقامته المديدة، فأحست بقشعريرة خوف تسري في جسمها. كانت ذراعاه وساقاه عضلتين مكتنزتين كمن قضى معظم ايامه يصارع الطبيعة، ومع ذلك بدا قوامه ممشوقاً لا يعوزه شيء من كمال العافية والرجولة.

وتراجعت سارة قليلاً ونظرت الى الأمام، غير ملتفتة يمنة او يسرة، فلم تقع عيناها الا على صدره العاري المليء بالشعر. وحين حاولت ان تسير نحو الفندق، وقف في طريقها، فقالت له:

- دعني اذهب، ارجوك. أريد ان اخبر [illegible] امي ماذا جرى بيني وبينك.

فأجابها قائلاً:

- عبثاً تحاولين، فالأمر لا يعنيه. بل لعله يشكرني على قطع صلتك بتيم. فقد يكون حدسي الانطباع بأنه يطمح الى بعيد...

وكان الارهاق قد بلغ من سارة حداً منعها من ان تستوعب تماماً ما نطق به جايسون، ولكنها قالت:

- كيف... كيف تجرأ على مثل هذا الكلام؟

وتراجع جايسون خطوة الى الوراء وتناول من جيب بنطاله القصير قصاصة من الورق وقال لها مبتسماً بسخرية:

- جئت بهذه الورقة لعلك تقرأينها فتساعدك على التعقل.

ووضع الورقة في يدها، ففتحتها ونظرت اليها، فاذا بها تحتوي

على شيك بخمسين دولاراً.

وهنا ثارت فمزقت الشيك ورمته في وجهه وهي تصيح:

- انت... انت...

فامسك بيديه رسغيها ويقول بتهكم لاذع:

- مهلاً... مهلاً... دعك من هذا المشهد المسرحي!

فرفعت سارة يدها ولطمته على وجهه بكل ما لديها من قوة، ثم دفعته من طريقها واتجهت نحو الفندق بخطى سريعة. ثم دخلت غرفتها في الطابق الثالث وارتمت على سريرها تشهق بالبكاء.

ومضى عليها وقت طويل وهي تبكي وترتجف من الغيظ. ولم تستطع ان تنسى جايسون وهو ماثل امامها يهددها ويوجه الاتهام الى رالف، ثم يتوج اهانته لها بذلك الشيك الذي اعطاها اياه كأجرة لها على الوقت الذي صرفته في عشرة اخيه. كما قال لها بكل وقاحة.

وكم آلمها ذلك، خصوصاً ان صداقتها لتيم كانت هنيئة بريئة لا سابقة لها كما حاول اخوه ان يعتبرها.

ونهضت عن الفراش وراحت تذرع الغرفة ذهاباً واياباً وهي في غضب شديد. وشق عليها انها لم تكن تقدر ان تفعل شيئاً لرد تلك الاهانة. وليس من الحكمة ان تخبر تيم بالأمر لئلا توقع بين الأخ واخيه.

وشيئاً فشيئاً عاد اليها هدوؤها. وذهبت الى غرفة الحمام وغسلت يديها ووجهها ثم شربت ماء بارداً. وعزمت بينها وبين نفسها ان لا تدع رجلاً كجايسون تايت ينغص عليها عيشها، وما قاله لها لن يؤثر على الصداقة التي كانت بينها وبين تيم.

وتساءلت في نفسها: ماذا يا ترى قال جايسون لأخيه بشأن علاقته معها؟ وأي روايات اختلق عنها؟ ولكنها كانت على يقين بأن تيم لن يسمح لأخيه بأن يسيطر عليه ويوجهه حيث يشاء. وغداً حين يغادر جايسون الفندق، ستعامل تيم برفق وعطف، مع الحرص على ان لا تحمله بتوقع ما لا تستطيع ان تعده به.

وفكرت ايضا انها يجب ان تعامل رالف معاملة حسنة خاصة، فهو يستحقها لما أبداه نحوها من الكرم والرعاية. ثم انها لن تدع رجلا كجايسون ثايت ينال من سمعته ويكيل له التهم، مهما يكن القصد الذي يرمي اليه من وراء ذلك. فلن يكون قصده سوى القدح والذم، وهي لن تعير هذا الامر اي اهتمام ولن تخبر رالف عنه، بل على العكس سترتدي الثوب الذي يحبه عند تناول طعام العشاء معه تلك الليلة، وستحاول ان تساير صديقه كارلوس سيزانو اذا كان ذلك يرضيه ولكنها في هذه الاثناء ستلزم غرفتها الى ان يحين وقت العشاء، لأنها لم تشأ ان ترى وجه جايسون مرة أخرى ذلك النهار.

وبعد مرور ساعة من الزمن كانت سارة جالسة امام المرآة تضع اللمسات الأخيرة على وجهها استعداداً للسهرة حين طرق الباب ودخل الى الغرفة رالف نفسه.

فالتفتت نحوه بابتسامة ترحيب وقالت:

- اهلا، ظننتك لا تزال تلعب الورق.

فمشى الى الداخل واستند الى الشباك ونظر اليها باعجاب وقال:

- احب ظلال الكحل هذا على جفنيك... [illegible] جديد [illegible] أرى!

وكانت فتشت في حقيبتها عن هذا النوع من الكحل الذي تعرف انه يحبه، وهو ذو لون ازرق مائل الى الارجوان، ظنت انه يجعلها تبدو على شيء كثير من الترف ورهافة الذوق.

وقال لها:

- بدأنا نلعب الورق، ولكن كارلوس تلقى خبراً جعله يضطر الى التوقف عن اللعب... والآن هل انت مستعدة لتناول طعام العشاء؟

- مستعدة؟ بيننا وبين موعد تناول الطعام ساعة وأكثر فلماذا العجلة؟

وبعد ان نظرت الى ساعة يدها ثم اليه، قالت بدلال:

- تبدو في غاية الاناقة هذه الليلة يا سيد فرنسيس!

وكان رالف يبدو كذلك بالفعل، حتى كاد يشبه احد الممثلين السينمائيين اللامعي الصيت. ثم اضافت الى ذلك قولها:

- لماذا كل هذه الاناقة؟

ذلك لأن رالف كان، على غير عادته في مثل تلك الظروف، يرتدي سترة سوداء وربطة عنق.

فقال لها:

- تغيرت الخطة يا عزيزتي... فكارلوس غادر الفندق الى منزله مضطراً ودعانا الى تناول طعام العشاء معه. فهل بامكانك ان تكوني مستعدة بعد ربع ساعة؟ فستأتي سيارة لتقلنا الى هناك.

- سيارة؟

- نعم يا عزيزتي، [illegible] ان كارلوس دعانا لا الى تناول طعام العشاء [illegible] فحسب، بل الى قضاء الليل كله هناك ايضا.

- في منزله؟ ولكني سمعتك تقول انه يسكن في المكسيك، اي على مسافة مئتي ميل على الأقل...

- نعم، ولا يستغرق الوصول الى هناك اكثر من اربعين دقيقة في طائرة كارلوس الخاصة...

ولاحظت سارة انه كان مسروراً جداً بهذه الدعوة من رجل ثري، رفيع المكانة الاجتماعية ككارلوس.

وكانت ردة فعل سارة، لأول وهلة، انها لا تريد ان تذهب. ذلك لانها لا تزال تشعر بالاضطراب والامتعاض عما جرى في ذلك النهار. ثم ان مجرد التفكير بقضاء السهرة والليل في منزل قوم في سن الكهولة ملأ قلبها بالكآبة. وكانت تؤثر الف مرة ان تتناول طعام العشاء في غرفتها، ثم تنام باكراً، بحجة انها تشعر بالصداع. وفي الصباح تنهض، بعد ان تتأكد ان جايسون غادر الفندق، لمقابلة توم عند المسبح.

ولكي تربح الوقت قالت لرالف:

ـ من سوانا سيكون في منزل كارلوس؟ وهل كارلوس متزوج؟

ـ كلا، انه أرمل. فقد زوجته منذ سنة . . . ومهما يكن، فهذه فرصة سانحة لتري من الداخل بيت رجل ثري جداً.

ـ ومتى نعود؟

ـ غداً، كما أتوقع، واذا لم يعد كارلوس فسنستقل طائرة ما. والآن، ماذا ستلبسين يا سارة؟ ليتك تلبسين ذلك القفطان الذي اشتريته لك في تلمسو. فهو يليق بك ويزيدك جمالاً على جمال. وأكثري من لبس الحلي، لأن جو بيت كارلوس سيكون على ما أعتقد، جواً رسمياً أكثر من جو الفندق هنا.

وبعد ان داعبها بكلامه، رجاها ان تسرع في تهيئة نفسها، ثم نزل الى بهو الفندق لانتظارها هناك.

ونظرت اليه وهو يغادر الغرفة، ثم تبعته لتقول له شيئاً، ولكن المصعد نزل قبل ان تلحق به. وكانت تريد ان تسأله:

ـ هل ألبس ثياب السهرة الآن ام ثياب السفر؟

فهي تعودت ان تأخذ رأيه في مثل هذه الامور، لانها على الرغم من قضاء فترة محروسة في المنتجعات التي يتردد اليها ابناء الطبقة الثرية المخملية لم تكتسب بعد كل الثقة بأنها تعرف آداب السلوك والتصرف في مثل هذه التجمعات. والمثل على ذلك تصرفها مع جايسون نايت وكيف كان عليها ان تحسن الرد عليه اكثر مما فعلت.

وأخذت تلملم أدوات الزينة وتضعها في الحقيبة الخاصة بها، ثم أغلقت باب خزانة الثياب التي تحتوي على فساتين في غاية الروعة، ذلك ان رالف لم يبخل عليها بشيء، لكي يجعلها تتألق جمالاً وسحراً.

وقال لها مرة:

ـ ما الفائدة من ان يكون للرجل ابنة حسناء اذا كان لا يعرض جمالها على الناس؟

ومنذ البداية اعتاد ان يختار لها ما تلبسه في مختلف المناسبات

الاجتماعية. وفي مرة او مرتين انتقدت بائعة الثياب ذوقه، فقالت له:

ـ الا تظن يا سيدي ان هذا الثوب او ذاك لا يليق بصبية حسناء؟

ولكن رالف لم يكن، على العموم، يأخذ برأي احد. وكانت سارة تشعر بالرضى لاعتزازه بها وتعريفها على اصحابه ومعارفه في الفنادق التي كانا ينزلان فيها.

ووجدت سارة القفطان الذي أشار عليها رالف ان تلبسه تلك الليلة، فلبسته وتحلت بما يلائمه من الأساور والعقود والاقراط، ثم أخذت تتمرى وتبدي اعجابها بألوان القفطان الصاخبة وفتحة صدره الواطئة التي تظهر محاسن صدرها، وفجأة استولت عليها الرغبة في ان تنزع عنها ذلك القفطان وتستعيض عنه برداء صيفي بسيط من الكتان وتسرع الى المسبح، حيث تمسك بيد تيم وتجري معه ضاحكة لاهية.

غير انها رأت ان مثل هذه الرغبة تنم عن نكران الجميل الذي طالما أسداه اليها رالف، فمن حقه عليها ان ترافقه تلك الليلة لأنه، على ما بدا لها، يعلق اهمية كبرى على تلبية الدعوة التي وجهها اليه صديقه كارلوس. وعلى كل حال، فبامكانها ان تلتقي تيم عند عودتها غداً الى الفندق.

ولضيق الوقت فسارعت الى وضع ما تحتاج اليه في حقيبة السفر، ثم ألقت نظرة اخيرة على شكلها في المرآة وغادرت الغرفة الى المصعد.

وفي البهو استقبلها رالف بابتسامة الرضى، وكذلك فعل كارلوس حين أمسك يدها ورفعها الى شفتيه وقال:

ـ يا الهي، ما هذا الجمال!

ووضع يده تحت مرفقها وقادها نحو الباب الخارجي، فيما مشى رالف الى جانبه. ولاحت على شفتي سارة ابتسامة القبول والرضى، حتى اذا وصلت الى حيث كانت السيارة بالانتظار رأت تيم مقبلاً في

الممر الذي يؤدي الى شرفات الفندق يرافقه اخوه جايسون. ورآها هو ايضا فاندفع نحوها وهو ينادي قائلا:

- سارة. اني ابحث عنك!

ثم توقف مرتبكاً حين أدرك الوضع الذي كانت فيه.

ولم يكن بوسع سارة أن تفعل شيئاً، او تقول له كلمة. كل ما كان بوسعها ان تفعله هو ان تبتسم له لعله يدرك ان ذهابها برفقة ذلك الرجل الكهل لم يكن باختيارها.

وحدق تيم في مكانه يحدق الى سارة وهي تسلّم ذراعها الى ذلك المكسيكي الذي مال اليها كأنها ملك له.

وفيما ظهرت الدهشة على وجه تيم، والحيرة ايضا، عما كان يشاهد امامه، وجد جايسون ان الأمر كان طبيعياً، وهنأ نفسه لأن ما توقعه صار على ما يبدو، حقيقة واقعة

وأمسك جايسون بذراع اخيه ومشى به الى الأمام، فيما كانت سارة ورفيقاها يدخلون السيارة التي ستقلهم الى المطار

وهمس كارلوس في اذن سارة:

- ارجو ان تكوني مرتاحة يا عزيزتي سارة.

فأدارت وجهها نحوه وأجابت:

- ماذا تقول؟ اوه نعم. . . شكراً.

ولكنها علمت انها لن ترتاح ابدا كل الارتياح حتى تتأكد ان جايسون بات غادر الفندق ولن ترى عينيه الغريبتين اللتين تثيران الاضطراب والقلق.

٢- اعطته القمر والنجوم

كان منزل كارلوس سورانو، في الغابة المرتفعة التي تحيط بمدينة مكسيكو، قصراً سحرياً في نظر سارة، لا يعوزه غول ولا عفريت.

صحيح ان كارلوس لم يكن ذلك الغول او العفريت، بل مجرد رجل ضخم الجثة، متقدم في السن، معتد بنفسه.

وكانت سارة سمعت عما يتحلى به المكسيكيون من حلاوة المعشر، الا ان كارلوس أسرف وغالى في التحلي بهذه الصفة. وادركت سارة ذلك حين جلس بينها وبين رالف في السيارة الكبيرة التي اقلتهم الى المطار وتعمد ان يميل الى جهتها ليشير الى الاماكن المثيرة للاهتمام التي كانوا يمرون بها.

ولم يرفع كارلوس يده عن مرفقها وهي جالسة الى جانبه تشعر بالحرج وتحاذر من النظر الى الحوانيت والمطاعم وناطحات السحاب، والحدائق والمنازل القديمة التي كانت على جانبي الشوارع المليئة بالسيارات الفخمة والعابرين من المشاة.

وقال كارلوس لسارة:

- ها هي الحديقة العامة وهي من اعظم حدائق العالم، وفيها كل شيء. متاحف ومعارض، ومسارح، وملاعب، وبحيرات وحديقة حيوانات، وما الى ذلك.

واحست سارة انها تكاد تفقد صوابها فكل شيء في المكسيك، في نظر هذا الرجل، لا مثيل له في العالم كله. وكان يتكلم

عن كل شيء كله هو الذي يملكه!

وكان منزله بين الأشجار فوق المدينة مثيراً للدهشة والاعجاب حقاً، حتى ان رالف ذاته لم يتمالك من الشعور بان قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه وهم يلجون الى الداخل. وتراءى لسارة ان صفقة تجارية ما قد تكون وراء هذه الزيارة. وتذكرت ما قاله جايسون نايت عن ان رالف يطمح في طموحه الى البعيد، فظنت ان ذلك يشير الى نوع من الشراكة بين رالف وبين ذلك المكسيكي الثري. ولذلك عزمت على ان تلاطف كارلوس ما امكن، رغبة منها في تقديم المساعدة لرالف، جزاء ما كان يغدق عليها من الكرم والعناية.

وبدا لسارة ان المنزل يخلو من النساء، لان كارلوس قادها بنفسه الى الطابق العلوي حاملاً حقيبة سفرها. وفتح باب غرفة واسعة يتوسطها سرير مربع ضخم وعليه غطاء حريري موشى بمختلف الألوان، وقال لها:

- سأتركك ترتاحين قليلاً الآن يا آنستي. ارجوك ان تقرعي الجرس اذا احتجت الى شيء. سنتناول طعام العشاء في الثامنة، وفي هذه الاثناء سأتحدث الى رالف في بعض الأمور. الى اللقاء.

وجال بنظره في ارجاء الغرفة قبل ان يخرج، فخطر ببال سارة ان ضخامة جثته لا تناسب مناخ ذلك المكان، خصوصاً حين رأت حبات العرق عالقة بوجهه الأسمر الداكن. وتردد في الخروج وقال لها وهو يمسح حبات العرق:

- سترتاحين هنا جداً يا آنستي سارة!

فاجالت نظرها في الغرفة ملياً وهي تجيب:

- لا شك في ذلك.

- هذه غرفة زوجتي التي كانت في منتهى الجمال.

والتفت بنظره الى صورة موضوعة على صندوق خشبي تمثل امرأة ناصعة البشرة، شقراء الشعر، ثم قال متأثراً:

- لكن الحياة تسير الى الامام، وعلى الانسان ان يعوض دائماً ما

يفقده... ولا تنسي ان الانسان مبني على النسيان.

- نعم، نعم، بالطبع.

وتأوه كارلوس ثانية ورمقها بنظرة وابتسامة ثم خرج واغلق الباب وراءه.

وشعرت سارة بالضيق وهي واقفة في وسط الغرفة. وخطر لها ان من اللباقة ان تظهر حزنها على ما حل بالرجل من خسارة تركته وحيداً في ذلك القصر المنيف، ولكنها احست ان فيه ما يجعلها تنفر منه. وهكذا تطلعت بكثير من الشوق الى انتهاء تلك الزيارة.

وتناولوا طعام العشاء في غرفة رحبة تنفتح على الحديقة بباب زجاجي عريض، مما جعل من الصعب على الانسان ان يتبين اين تنتهي الغرفة لتبدأ الحديقة. كان العشب يغطي الممرات، وانواع النباتات تعرض على [illegible] [illegible]، وكانت التماثيل النحاسية ترتفع على قواعد من الحجر الرخامي هنا وهناك في ارجاء الحديقة. اما الغرفة فكان اثاثها الفاخر يفوق الوصف.

كان على المائدة معها ثلاثة رجال، والثالث رجل قصير القامة اسمر اللون، اسود الشعر، عرفه كارلوس باسم جوزي غوميز. وكان هذا الرجل معظم الوقت يتحدث الى رالف الذي كان بقربه عند الجانب الآخر من الطاولة، فيما جلس كارلوس على رأس الطاولة وسارة الى يمينه. وكان الطعام غير مألوف، حتى ان سارة لم تكن تعرف ماذا كانت تأكل.

وقال لها كارلوس:

- انا شخصياً يا آنستي سارة، افضل المآكل المكسيكية. ولكني رأيت ان هذه المآكل تحتوي على قدر كبير من البهار والفلفل، بحيث خفت ان تؤذي شفتيك الناعمتين. ولذلك امرت، باعداد هذه المآكل التي لا خطر منها.

قال ذلك ورمقها بنظرة فيها شيء من الدعابة، فبادلته النظرة بابتسامة كلها لباقة وادب.

وعندما انتهت وجبة العشاء، دعا كارلوس سارة الى الجلوس على مقعد مريح، ثم جلس بقربها وقال:

- ارجو ان تكوني على ما يرام، يا آنستي!

فاصلحت من جلستها واجابت:

- نعم، شكراً. . . ولكنّ الطقس حار قليلاً!

- مع الأسف، طقسنا في هذه الأيام مزعج خصوصاً لمن لم يعتد عليه. . اتريدين ان تخرجي الى الحديقة، حيث الهواء عليل في مثل هذا الوقت؟ وهناك أيضا اريك ما فيها من تماثيل فنية رائعة.

ونهض واقفاً فتبعته وهي تنظر الى حيث جلس والف يدخن سيكاراً ضخماً، وقد تركه المدعو غوميز لوحده واختفى في الجانب الآخر من القصر.

فقالت له سارة:

- الا تريد ان ترى الحديقة يا رالف؟

- ولكني مرتاح جداً هنا.

وابتسم لها من خلال دخان السيكار وقال لكارلوس:

- اعذرني يا كارلوس على سارة وحدك الى الحديقة وسأمتع نظري بمرأى حديقتك الغناء في وقت آخر.

وتبادل الرجلان النظرات، فقال كارلوس وهو يعير ذراعه لسارة:

- لا تزعج نفسك يا صديقي.

ونظرت سارة الى والف مستنجدة، ولكنه اغمض عينيه علامة السرور والارتياح. فما كان امامها الا ان استسلمت لرفقة كارلوس وحاولت ان تتحمله بصبر.

كان الطقس في الحديقة أكثر برودة. ولم يكن الليل مقمراً. فبدت الحديقة تحت الظلال الكثيفة التي عكستها ضياء النجوم. وفيما هما يسيران في الممرات المرصوفة بالحجارة، كان العبير يفوح في الارجاء، فيبعث النشوة في النفس.

وقال لها كارلوس وهو يميل نحوها:

- الا تشعرين بمزيد من الراحة الآن؟

- نعم، شكراً.

قالت ذلك بصوت خافت وهي تفكر كيف تدعوه الى العودة الى الداخل، بدون ان تخل بقواعد اللياقة.

وقال لها.

- سأريك الآن شيئاً خاصاً جداً.

وشدّ على ذراعها تحت ابطه فاحست بحرارة جسده تحت السترة الرقيقة التي يرتديها.

وفي نهاية ممر طويل، وتحت احدى القناطر، وصلا الى مكان تكثر فيه اغصان الأشجار الباسقة، فتمكنت سارة من رؤية منزل قائم على مسافة قريبة من هناك. وبدا لها المنزل الرمادي المعتم عابقاً بالسحر والغموض.

- هذا المنزل هيكلي الخاص. بنيته كما اريد. لاجد فيه كل ما ارتاح اليه في اقامتي هنا. فانا، كما تعلمين، من مريدا واحسب نفسي من توكاتيكو قبل ان اكون من المكسيك. وفي احد الاهرامات هناك، حيث الترابي عندما كنت طفلاً، رأيت منزلاً سرياً، فيه تمر عيناه من ياقوت، فأثر في تأثيراً بالغاً. وهذا المنزل ليس نسخة عن الذي رأيته، بل شيئاً يذكرني به. . .

وسارا نحو المنزل، وحينما وصلا اليه انحنى كارلوس وضغط على زر هناك فتدفق النور في خارج المنزل وفي داخله. وفي الممر الى المنزل انتصب حيوان رهيب، فاغر الفم، ذو عينين زجاجتين خضراوين.

فقال كارلوس وهو يداعب رأس الحيوان:

- هذا نمري الصغير. . . انه جميل جداً، الا ترينه كذلك؟

فاجابت وهي ترتجف:

- انه مخيف، حقاً!

- لا. . . لا. انه لا يؤذي احداً. نحن اليوم اقل قسوة مما كنا في ذلك الزمن. ففي ذلك الزمن كان في الاهرامات بئر عميقة، وكان

الناس يزينون بناتهم الجميلات بالحلي ويلقون فيها، كهدية لتلك رمز الطر...

وبعد ان ربت على يدها قال مفهمها:

- اما في هذه الايام، فلا نقدم بناتنا الجميلات هدية لأحد... فنحن نحتاج اليهن لمهمة افضل!

وكم كانت دهشتها عظيمة حين أزاح القفطان عن كتفها وحاول معانقتها. فصرخت قائلة:

- لا. لا. ماذا تفعل؟

فضحك قائلاً:

- انت خجولة يا آنستي... وانا احب الفتاة الخجولة... احبها كثيراً. والآن، دعينا نعود الى رالف، اتوافقين؟

فاجابت بصوت مكبوت:

- نعم، ارجوك... فانا احس بالغثيان، ومن الخير لي ان آوي الى فراشي في الحال، اذا لم يكن ذلك خالفاً لقواعد اللياقة.

قالت ذلك برغم أنها تذكرت بأنها جاءت الى هنا لتساعد رالف في نجاح صفقته التجارية مع كارلوس، وحاولت ان تقنع نفسها ان ما فعله كارلوس لم يكن يستحق الاهتمام بل على العكس يبعث فيها الشفقة عليه. غير أن هذا لا يعني أنها تطيق ان يلمسها او يقترب منها.

فقال لها كارلوس ملبياً طلبها:

- لك ما تشائين. وآسف أشد الاسف لازعاجك، فهل يمكنني ان اساعدك في شيء؟

هل استدعي لك الطبيب، مثلاً؟

فسارعت الى القول:

- لا، لا... لا حاجة الى ذلك البتة. انه الحر فقط لا غير. ولا شك ان حالي ستتحسن في الصباح.

ومشت بخطى سريعة نحو المنزل. وكان رالف لا يزال جالساً

يدخن، فوقفت سارة امامه وقالت له:

- لست على ما يرام، واريد الذهاب الى الفراش.

فنهض رالف واقفاً على قدميه ونظر اليها مرة والى كارلوس مرة اخرى. وكان كارلوس لحق بسارة ووقف وراءها وقال لرالف:

- الآنسة سارة تشعر بالانزعاج من الطقس، وهذا امر غالباً ما يحدث للذين استضيفهم هنا لأول مرة. فالافضل لها ان تخلد الى الراحة!

فزال العبوس عن جبين رالف وقال مظهراً اهتمامه:

- نعم، نعم... انا آسف يا عزيزتي! هل تحتاجين الى شيء أستطيع ان افعله لك؟

- كلا... شكراً.

كان كل ما ترغب فيه في تلك اللحظة ان يتركاها وشأنها. ولما ودعتهما حاول كارلوس ان يرافقها الى الغرفة، فأصرت على الذهاب وحدها تعلم حاجتها الى رفيق. وما ان دخلت الغرفة حتى خلعت عنها القفطان وارتمت على الفراش وهي تتنفس بصعوبة.

ومضى وقت طويل قبل ان تهدأ اعصابها. واعترفت بينها وبين نفسها انه من السخف ان تشعر بأنها مهددة. فلا شيء حدث يبرر هذا الشعور. فهي لم تسيء الى السيد سوراتو ولا خانت رالف، ولكنها تكون شاكرة اذا تمكنت من العودة غداً صباحاً. فهناك، في اكابولكو، لا تكون مضطرة الى لقاء ذلك الثري المكسيكي.

وكانت العودة أسهل مما توقعت. ففي الصباح اخبرها رالف ان كارلوس دعي الى حضور اجتماع في تكساس فغادر القصر باكراً وكلفه ان ينقل اليها اعتذاره.

واخبرها رالف ايضاً ان سيارة ستقلهما بعد الغداء الى المطار، حيث يركبان الطائرة عائدين الى اكابولكو.

فتنفست سارة الصعداء عند سماعها هذا الخبر، ولم تكتم سرورها به.

ورمقها رالف بنظرة سريعة بدون ان ينطق بكلمة. وفي طريق العودة كان هادئاً. ولكنه عندما رافقها الى غرفتها في الفندق، حاملاً لها حقيبتها أسمعها كلاماً حوّل مجرى حياتها.

قال لها وقد جلس في كرسي مريح بقرب النافذة:

- كانت رحلتنا البارحة ناجحة، الا توافقين؟ كارلوس رجل عظيم، وهو يملك ثروة لا تحصى، وله قصر لا يفيه حقه، كما رأيت، اي وصف.

ثم نظر الى سارة التي كانت غارقة في التفكير وتساءل اين ستجد تيم ومتى ستتصل به. فبعد تجربتها مع كارلوس شعرت انها بحاجة الى تيم لتعود الى الاحساس بالشباب وزهوه.

وتابع رالف كلامه فقال:

- بعد ان ذهبت الى فراشك ليلة البارحة، تحدثت حديثاً طويلاً مع كارلوس، وهو كما تعلمين رجل ناجح في عمله، ويملك مصنعاً لصنع الآلات الخاصة باستخراج النفط...

فقاطعته سارة مظهرة اهتمامها:

- ولكن ما لك ولمثل تلك الصناعة يا عزيزي؟

- أنا؟ كيف لا... يا الهي!

- كنت أظن انك تشارك كارلوس في بعض الاعمال التجارية، ولهذا السبب دعانا الى زيارة قصره!

وساد الصمت قليلاً وتطلع رالف الى حذائه المصنوع من الجلد الطبيعي الفاخر، ثم رفع عينيه الى سارة وقال:

- دعيني أخبرك شيئاً يا سارة. عندما رأيتك في المدرسة قلت في نفسي: هذه الفتاة رائعة الجمال، وفوق ذلك فهي ذكية ومليئة بالحيوية، فلماذا لا اصطحبها معي في اسفاري. وكنت أتوقع اننا سنرى الاشياء بمنظار واحد ونعيش معاً بانسجام تام، فصح توقعي، الا توافقيني؟

فاجابت بحماسة مفتعلة:

- نعم، نعم... هذا صحيح.

- وقلت لنفسي ايضاً انك فتاة لا بد ان تخلص لرجل مثلي وتكافئه على ما احاطها به من عناية، اذا ما حل به مكروه أو نزلت به الخسائر. واعلم الآن ما توقعته فيما يتعلق باخلاصك لي كان في محله...

فجالت بنظرها في تلك الغرفة الواسعة الفاخرة وقالت:

- ولكن...

فقاطعها قائلاً بتأوه:

- جلبت لي حسن الحظ، بادىء الامر يا سارة. اما فيما بعد فالحقيقة هي اني مفلس يا عزيزتي، مفلس وفي منتهى الافلاس... وأنا بين يديك الآن واحتاج الى معونتك!

فاجابت على الفور:

- سأفعل كل ما استطيعه. كلما نعود الى انكلترا، وهناك أتدرب على العمل في وظيفة ما...

فتجهم وجهه وصاح:

- على العمل؟ لم اكن اقصد هذا ابداً!

- اذن، ماذا تقصد؟

فابتسم بعسر واجاب:

- ألا تعلمين لماذا دعانا كارلوس الى قصره؟ لا تخبريني انك غبية الى هذا الحد...

- غبية؟ ماذا تعني بغبية؟

- يا عزيزتي دعيني أصارحك... الدعوة كانت موجهة اليك!

- اليّ؟

- نعم، اليك.

وانتظر قليلاً لعلها تستوعب كلامه وتابع قائلاً:

- كارلوس يريد ان يتزوجك يا عزيزتي. وهذا يحل كل مشاكلنا...

فحدقت اليه غير مصدقة، ثم قالت وهي تحس بجفاف حلقها:

- يتزوجني؟ آه، يا الهي! هذا شيء فظيع! وماذا عساني أقول له؟

فاجابها قائلاً:
- ما تقوله كل فتاة عاقلة، وهو نعم يا سيدي!
فصاحت به:
- انت لست جاداً فيما تقول...
- وكيف لا اكون جاداً؟
وبدأت شفتا سارة ترتجفان وهي تتمتم:
- لا استطيع... لا استطيع أن أفعل ذلك ابداً... هذا مستحيل... هذا غير اخلاقي!
فابتسم ابتسامته التي تنطوي على الخبث والدهاء وقال:
- هدئي روعك يا عزيزتي... ليس الأمر على مثل هذا السوء كما تعتقدين. فكارلوس مثال الرجل الرجل!
فدبّت في جسمها القشعريرة وقالت:
- انه سمين وقبيح، ولا اطيق اقترابه مني... وهو متقدم في السن!
قالت ذلك ونهضت واقفة، ولكنها شعرت بوهن ركبتيها فعادت الى الجلوس. وسمعته يقول لها:
- الحق انه في الثالثة والستين... فهو في الواقع ليس متقدماً في السن!
- ولكني في الثالثة عشرة. لا، لا اظنك الا مازحاً في هذا الأمر كله! وفي كل حال، لن تجبرني على الزواج ممن لا أريده... نحن لسنا في القرون الوسطى!
وبدا صوتها يرتفع، واحست بالدماء تسيل حارة في عروقها. وحاولت ان تضبط اعصابها لاقناعه بالجدل والنقاش ان الفكرة التي يطرحها عليها فكرة سخيفة تافهة، الا ان شدة الصدمة لم تمكنها من ذلك.
ونهض رالف واقترب من السرير ووضع يده على رأس سارة وقال:

- طبعاً لا استطيع ان اجبرك على الزواج يا عزيزتي. كل ما استطيع ان افعله هو ان أبين لك الفائدة منه، وخصوصاً الفائدة السريعة... فانا اكاد لا املك اجرة الفندق، واصحابه يمتنعون عن تأجيل استيفائها ما لم اخبرهم بانك خطيبة للسيد كارلوس سورانو... وجلس بقربها على السرير وتابع كلامه قائلاً بهدوء:
- هذا هو الواقع يا عزيزتي... والآن اتركك تفكرين في الأمر بينك وبين نفسك... ولكن يجب ان تعلمي اني لم أعد قادراً على ان اصطحبك معي، فيكون عليك ان تدبري امرك بنفسك. طبعاً يمكنك ان تجدي عملاً ما، ولكنك تجهلين لغة البلاد فلن يكون الأمر سهلاً... وفي هذه الاثناء لا استطيع ان انفق عليك لأني لا املك المال حتى لانفاقه على نفسي... وامام هذا الواقع، الا ترين ان المسألة من الصعوبة بمكان؟
بدأت الدموع تتساقط على خدي سارة، فلم تستطع ان تتفوه بكلمة.
وتابع رالف كلامه قائلاً:
- والآن سأتركك لوحدك كما قلت... لا شك في أني فاجأتك بكلامي هذا، ولكن اذا امعنت النظر ملياً ادركت ان لا خيار لك الا القبول باقتراحي. تعقلي يا عزيزتي وارتدي اجمل ثيابك واستعدي لاستقبال كارلوس بابتسامة ساحرة عند رجوعه لتناول طعام العشاء معنا.
واتجه نحو الباب وهو يقول:
- سأعود اليك بعد نحو ساعة، فتكونين أخذت الوقت الكافي لاتخاذ قرارك.
ووضع يده على مسكة الباب وقال مقهقهاً:
- ستكونين، ولا شك، أرملة صبية وغنية يا عزيزتي!
وجلست سارة تحدق في الاشياء حولها وقد استولى عليها الذعر

الذي اخذ يحوّل الدم في عروقها الى ماء.

وفكرت أنه عليها ان تهرب... أن تترك الفندق في الحال وتركن الى الفرار. فتمالكت نفسها وسارت نحو الباب فوجدته مقفلاً. واتجهت نحو النافذة ونظرت الى أسفل فرأت رجلين يشقان طريقهما بين السيارات المتوقفة هناك، فترددت في مناداتهما لانهما لا يسمعان صوتها الا اذا صرخت، وهي لم تشأ ان تصرخ لئلا تثير الرعب في الفندق فتجعل الحال اسوأ مما هي عليه.

واخذت اسنانها تصطك من شدة القشعريرة التي سرت في جسمها، وتساءلت كيف يمكن ان تكون على ذلك الغباء طوال الاشهر الماضية. فلم تتبين أي نوع من الرجال كان رالف في الحقيقة. كان مرتزقاً لا شأن له. ولكن كيف كان لها ان تتبين ذلك وهو الخبير في الدجل والنفاق، وهي الفتاة اليافعة التي لا تزال تنظر الى الحياة ببراءة وطيبة قلب.

وشعرت بالغثيان حين وضعت يدها على جهاز التلفون. رنّ فجأة وكان المتكلم تيم نفسه:

- سارة حبيبي... كيف حالك؟ رأيتك تحوين مع رالف فانتظرت خروجه من الفندق لارا... هل انت قادمة للسباحة الآن؟

فانهارت لهول المفاجأة ولم تستطع ان تتفوه إلا بكلمة:

- تيم، تيم، انا...

- ما بالك تشهقين بالبكاء يا حبيبتي... ماذا جرى لك؟

فامتلكت اعصابها وقالت له:

- تيم... اسمع! لا تسألني عن شيء الآن. انا سجينة في غرفتي ولا أستطيع ان اخرج منها. حاول ان تجد مفتاحاً آخر للغرفة وتعال افتح لي... اسرع... اسرع!

فبادرها قائلاً:

- سآتيك بعد لحظة!

ووقفت سارة قرب الباب وهي تتنفس بصعوبة وخشيت ان يعود رالف ويلتقي تيم، فيحدث ما يورطه في هذا المشهد المهين. وحين سمعت المصعد يتوقف احست بالدوار.

وكان تيم هو الذي فتح الباب، وما ان القى نظرة واحدة عليها حتى تغير وجهه. فاغلق الباب واحاطها بذراعه وقادها الى السرير حيث اجلسها وقال لها:

- والآن اخبريني ماذا جرى لك!

فهزت رأسها وعضت شفتها واجابت:

- من الخطأ ان اورطك في هذا الامر... لما وقد فتح الباب، فبامكاني...

فقاطعها تيم قائلاً:

- اخبريني... وسيظل جالساً هنا الى ان تخبريني بكل شيء.

فنظرت اليه مترددة، وحين رأت امارات العزيمة على وجهه المشرق الفتي قالت له بصوت خافت:

- انه رالف زوج امي... اكتشفت فجأة على حقيقته... يريد ان يزوجني كارلوس سورانو!

فصاح بصوت يملأه الرعب:

- سورانو؟ ذلك الرجل السمين القبيح؟

فوضعت يدها على ذراعه وتلفتت كأنما للغرفة آذان، ثم قالت:

- بربك، لا ترفع صوتك!

فتابع كلامه بصوت منخفض محاولاً ان يطمئنها ويهدئه من روعها ويؤكد لها ان لا احد يستطيع ان يرغمها على الزواج من ذلك الرجل، خصوصاً انها بلغت سن الرشد.

فاجابت بهدوء:

- نعم، يستطيع، وهو يعلم ذلك!

وادركت الآن ان تيم هو سبيلها الوحيد الى البقاء على قيد الحياة، وبما انها اخبرته بهذا الأمر، فعليها ان تروي له الحكاية من اولها،

فروت له بالتفصيل ما فعله رالف وقاله لها. وعندما انتهت شدها اليه وقال:

- يا له من رجل دميم! ولكني استغرب كيف انطلت عليك حقيقة امره!

فأجابته قائلة:

- لم اعرفه الا منذ بضعة أشهر، حين جاء الى المدرسة وأخرجني منها ليسكنني في بيت. وكان لطيفاً وساحراً، فاعتنى بي عناية فائقة واشترى لي أفخر الثياب وأثمن الحلي، وأخذني الى أرقى أماكن اللهو. ولكنه كان في كل هذا يعتبرني نوعاً من «بوليصة» تأمين. وقال لي مرة انني خبيئة. وكان على حق في قوله هذا...

وتوقفت عن الكلام لحظة، ثم تابعت قائلة:

- لكن هذا الامر لا شأن لك به، يا عزيزي تيم. كل ما أطلبه منك الآن هو ان تعيرني بعض المال لأتمكن من الهرب الى مكان ما. بامكاني، ربما، ان اذهب الى مدينة مكسيكو، فهي مدينة [illegible] ويصعب عليه ان يجدني فيها. وهنا [illegible] اصبح [illegible] يتسنى لي عندئذ ان...

فقاطعها تيم وقال ساخراً:

- نعم... وماذا يتسنى لك ان تفعلي يا حبيبتي!

- شيئاً ما... ولا بد ان يساعدني القنصل البريطاني... او السفير.

- ولكن، الا تظنين ان هذا هو المكان الذي سيبحث فيه رالف عنك؟ واذا وجدك، فهل تستطيعين ان تتصوري التهم التي سيختلقها ليوهم الناس انك فتاة ضالة شاردة، تثأر لفشلها في غرام ذهبت ضحيته؟ وبذلك يستطيع اعادتك الى حيث كنت.

ووضع يده على فمها ليمنعها من الكلام وقال:

- دعيني أخبرك يا عزيزتي ماذا سيحدث. وقبل كل شيء، يجب ان انقذك من ذلك الرجل الدنيء... هل بطاقة هويتك معك؟ او جواز

سفرك؟

- نعم، هنا في حقيبتي. كان رالف حريصاً على ان تكون بطاقة هويتي معي كتعبير لحرازي في حالة اضطررنا الى الافتراق... فهو، على ما اظن، لم يخرج من حسابه امكانية التخلي عني والسفر الى مكان ما في حالة فشله فيما كان يطمح اليه!

وهنا نهض ثم اوقف سارة على قدميها قائلاً:

- هاتي حقيبة يدك وضعي فيها ثوب نومك وادوات زينتك وما الى ذلك، فهي لا تسترعي انتباه احد.

وبعدما فعلت ذلك قالت:

- الا اترك خبراً عن مغادرتي الفندق [illegible]، لكيلا يظن رالف ان احداً اختطفني، ويشكو الامر الى الشرطة؟

ففكر تيم ملياً ثم تناول ورقة وكتب عليها بتوقيعه: «اخذت سارة الى مكان ما. لا تحاول البحث عنا، لانك لو وجدتنا لا تستفيد منها شيئاً... فهي ستتزوجني».

فنظرت سارة اليه وقالت:

- ولكني اخبرتك يا تيم انني...

فقاطعها قائلاً:

- كان ذلك بالأمس، اما اليوم فتغير كل شيء.

واحاطها بذراعه الفتية وهو يقول:

- هيا يا حبيبتي... لا وقت نضيعه... ستتزوجيني. الا توافقين؟

فترددت في الاجابة، فكرر عليها السؤال فقالت:

- اوه يا تيم، سأكافئك على هذا الذي تفعله لاجلي... نعم، اقسم لك اني سأكافئك.

هذه طريقة غريبة لقبول طلب زواج، وكانت سارة تتمنى لو انها تستطيع ان تصرح بحبها الشديد له، غير ان الوقوع في الحب لم يكن لها عهد به، ولكن اذا حدث لها فلنه يكون مع تيم دون سواه.

وامسك بيدها وقال لها:

- والآن هيا بنا. يجب ان نسرع في الخروج من هنا. من الافضل ان تنتظري في غرفتي ريثما احزم امتعتي وادفع ما عليّ للفندق. وأتأكد ان رالف ليس في طريقنا عند خروجنا. واحست سارة، كأنها محمولة على موجة عارمة. ونظرت اليه بابتسامة اعجاب حارة وقالت:

- انت تفكر في كل شيء، يا تيم!

وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة، حين نزلا في فندق آخر اقل ضخامة واكثر تواضعاً، كررت سارة في اذن تيم ذلك الكلام ولكن بصيغة اخرى، فقالت:

- كنت رائعاً حقاً في ما قمت به يا تيم. اكاد لا اصدق ما حدث!

فابتسم بحياء، واجاب:

- حالفنا الحظ يا حبيبتي، اذ وجدنا مقعدين في الطائرة وغرفة شاغرة في هذا الفندق ثم سهولة الزواج في المكسيك، خصوصاً للسياح. اه، يا سارة! لا استطيع انا ايضاً ان اصدق كل ما جرى!

ووقفا يداً بيد امام نافذة ذلك الفندق الصغير في مدينة مكسيكو ونظرا الى الشارع المزدحم تحتهما. ولم تكن سارة تريد الرجوع الى تلك المدينة خائفة ان يكون كورليس كامناً في مكان ما، ولكن تيم استخف بشعورها هذا وقال:

- في هذه المدينة ثمانية ملايين نسمة وانت فيها كالابرة في كومة من الرمل!

ومع ذلك، فعندما غادرا مكتب الزواج، أصرّت سارة على العودة الى الفندق حيث تناولا غداء خفيفاً ثم وافقت على كل ما اقترحه تيم من خطط للمستقبل.

وقال لها:

- لدي يومين بعد من عطلتي، فدعينا نجعل منها شهر عسل،.. لا أريد ان استعجل الامور، فانا اعلم انك لست مغرمة بي، ولكن...

فقاطعته قائلة:

- كفى، يا تيم!

وكادت تغرورق عيناها بالدموع مرة ثانية وهي تتابع كلامها قائلة:

- تيم، حبيبي... لا تظن اني احاول ان اصدك عني... فانا اتوق حقاً الى قضاء شهر عسل معك.

فنظر اليها بشغف كأنها ناولته القمر والنجوم على طبق من الفضة، ثم نهض وخرج للقيام ببعض الترتيبات والتدابير. وبعد نحو ساعة عاد الى الفندق واخبر سارة انه حجز غرفة نوم في القطار الذي سيسافر الى فيراكروز. فهذه المدينة، كما قيل له في مكتب السياحة، تقع على الجانب الآخر من بلاد المكسيك، وبامكانهما ان يقضيا هناك يومين وبعد ذلك يعودان الى مدينة مكسيكو حيث يكون جاكسون وصل اليها بانتظاره. فهو في كاتان الآن يتولى تصريف بعض الاعمال. وهنا ضحك وقال:

- يا الهي، كم سيفاجئه زواجنا!

- يفاجئه؟ لا بل اكثر من ذلك بكثير، اذا اخذنا بعين الاعتبار ما عرّفني به.

ولم تكن سارة تتشوق ابداً الى لقاء جاكسون، ولكنها عزت نفسها بان الظروف تغيرت كثيراً بعد لقائها الاول به قرب المسبح. فهي اولاً زوجة اخيه تيم، وثانياً اصبحت تدرك انه كان محقاً في بعض ما حذّرها به. فيبدو انه كان يعرف عن رالف اكثر بكثير مما كانت تعرف. ولكنه اخطأ في شيء واحد، وهو انه ظنها متواطئة مع رالف في ما كان يقوم به من اعمال مشينة.

ولكن على الرغم من هذه المبررات كلها، فهي لم تستطع ان تنسى تهجمه عليها، وتصرفه واعتداده بنفسه، وتمنت ان يقوم الدليل فيما بعد على خطأها في الحكم عليه.

وقالت لتيم:

- اخشى ان يكون لأخيك انطباع سيء عني

فاجابها:

- اذا كان الامر كذلك، فعليه ان يزيل هذا الانطباع، وسأصارحه بذلك. ولكني لم اكن اعلم انه تحدث اليك، او انكما تعارفتما.

وبدا تيم قلقاً بحيث مالت سارة الى الاعتقاد ان الآخرين لحاصنها بسببها.

وقال لها:

- ماذا قال لك اخي؟

- لا شيء يستحق الذكر. كل ما في الامر انه لم يكن يعطي، على ما ظننت، بعين الرضى الى صلتك بي. ولكني ارجو ان اكون على خطأ في ظني هذا.

وجمع تيم قبضة يده غضباً وقال:

- لا يحق له ان يكلمك بهذا الشأن. فهو في كل الامور يريد ان يكون الامر الناهي، ويعتقد انه يستطيع ان يوجه لي حياتي. ولكنه سيرى عاجلاً بأني سيد نفسي، وبعمل مشروع [illegible]، وهو امر لم يستطع ان يحظى هو به.

فسألته سارة قائلة:

- اليس جايسون متزوجاً؟

فاجابها:

- كلا... فهو حريص على الاحتفاظ بحريته. وطبعاً، كل الفتيات يتهافتن عليه. وعلى كل حال، فكوني الأخ الاصغر امر لا احسد عليه ابداً، خصوصاً وقد مات والداي فأصبح علي ان انظر الى اخي الاكبر كأنه والدي، واصبح عليه هو ان يعاملني كذلك... ولكن من الآن فصاعداً سأقلب هذه الصفحة من حياتي واحتل المكان الذي هو من حقي كشريك في مؤسسة ذايت لبناء السفن في دروسه بانكلترا... وقبل ذلك يجب ان اعود بك الى هناك يا حبيبتي واعرفك على عمتي فيرا التي تدير شؤون البيت لنا. ثم نجد لنا بيتاً

صغيراً خاصاً بنا بجانب البحر ونقضي ايامنا هناك.

وظلت سارة تتذكر الى زمن بعيد كيف نظر اليها وهو يقول هذا الكلام، وكيف اشرق وجهه سروراً وابتهاجاً.

فقالت له:

- شيء رائع!

وكانت تعني ما تقول. فهي في تلك اللحظة لم تكن تستبدل جمال الطبيعة في دروسه بكل منتجعات الدنيا.

كانا جالسين في غرفة سارة، ثم نهض تيم ومشى الى حيث جهاز التلفون على طاولة بجانب السرير وقال:

- لست متحمساً ان افعل هذا، ولكن قد يكون من الخير لي ان اقرر على دوري الجديد، سأتصل بأخي جايسون واخبره بما طرأ علي...

وابتسم ابتسامة الثقة بالنفس ورفع السماعة وطلب رقم اخيه في مدينة مريدا. وفرحت سارة بما بدر منه فقامت وجلست بجانبه على السرير كأنما ارادت ان تحيطه بالعناية

وقال لها مبتسماً:

- اخذت بعض الدروس في الاسبانية، قبل مجيئي الى المكسيك، فكيف رأيتني؟

فاجابت وهي تبادله الابتسامة:

- انك كثير اعجابي... فانا لا اعرف من هذه اللغة اكثر من كلمتين او ثلاث.

وساد الصمت برهة، ثم تكلم تيم طالباً التحدث الى اخيه، ولما وجده جرى بينهما الحديث الآتي:

- جايسون؟

- نعم، كيف الحال معك؟

- عندي مفاجأة لك... تزوجت! لا اتمكن من سرد التفاصيل الآن... سأفعل ذلك عندما نلتقي يوم الثلاثاء المقبل. نحن الآن في

مدينة مكسيكو، في فندق صغير .. وسنسافر الى فيراكروز بعد قليل.. سارة تيلدسلي... طبعاً... هي بجانبي الآن... هل تريد التحدث اليها؟ جايسون... جايسون... الا تزال على الخط؟

والتفت الى سارة قائلا:

- انقطع الخط...

واعاد السماعة الى مكانها وقال:

- لا بأس، لديه وقت طويل ليمنحنا بركته، حين نلتقي يوم الثلاثاء!

- وماذا قال لك؟

- لا شيء يستحق الذكر...

وظهر عليه الارتباك لحظة ثم أشرق وجهه وقال لها:

- تعالي يا حبيبتي... دعينا نسرع الى المحطة قبل ان يفوتنا القطار!

٣- امرأة اعتقلها الحب

أخذ تيم يقفز فرحاً على الفراش، في غرفة النوم التي احتلها مع سارة في القطار.

وكان القطار يبتعد عن محطة بوينافيستا، حين قال لها:

- يا لها من فكرة رائعة، فكرة سفرنا في القطار... قد لا يصدق رالف ما اخبرته عن زواجنا في الرسالة التي تركتها له في الفندق ولذلك قد يكون بدأ يبحث عنا في المطار، ولن يخطر بباله أبداً أننا اخترنا ركوب القطار.

وجلست سارة قربه وهي مرتاحة مطمئنة.. ولعل صوت عجلات القطار كانت تساعدها على ذلك.

وقالت له:

- يسرني ان نبتعد شيئاً فشيئاً عن رالف... وعن كل شيء.

وعضت على شفتها السفلى، ثم انفرجت أسارير وجهها عندما تذكرت انها اصبحت الآن متزوجة ولم يعد رالف قادراً على تهديد حياتها. وقالت لتيم:

- ربما اتيح لنا في المستقبل ان نضحك على كل هذا الذي جرى لنا في الأيام الأخيرة من متاعب.. ولكن اتعس ما يمكن ان يحل بالانسان هو ان يخيب أمله بشخص يثق به تمام الثقة، فيتحول فجأة من ملاك الى شيطان!

وضمها اليه وهو يقول:

- الآن انت في امان . . . الا تثقين بي؟
فوضعت يدها في يده واجابت:
- كيف لا اثق بك!
فبدت على وجه تيم امارات الجد والعزيمة، فشد على يدها بقوة وقال لها:
- سننجح في حياتنا معاً يا حبيبتي. . . وسنرى جايسون. . .
وتوقف عن الكلام قليلاً ثم تابع قائلاً:
- تأملي كيف تمكن هذا الانسان من توجيه حياتي بحيث جعلني اضطر الى الحصول على موافقته. . . لم اكن اقصد ان اقحمه في امورنا الآن. . . فنحن في شهر العسل، ويجب ان لا أبالي البتة بموافقته، ما دمت تحبينني ولو قليلاً يا حلوتي سارة!
- نعم، نعم، هذا صحيح.
وتطلعت الى وجه تيم ونسيت نفسها فجأة، كما نسيت عواطفها وادركت ما كانت تعانيه من ألم وشك وشوق. فما كان منها الا ان ألقت ذراعيها حول عنقه وقالت:
- آه يا تيم، لو تعلم كم احبك!
وبدا مضطرباً الى حد [illegible] شعور ملكه، ولكنه تنفس نفساً طويلاً وقال لها:
- كلامك هذا يملأ قلبي فرحاً يا حبيبتي.
وضمها اليه واضعاً خده على خدها. وبعد حين تراجع وقال لها:
- يبدو عليك التعب يا عزيزتي سارة. . . دعينا نشرع في الاحتفال بزواجنا، فنبدأ بتناول طعام العشاء في مطعم القطار. . . اوه، ولكنني نسيت ان اسأل اذا كان في هذا القطار مطعم. ولكن لا بد ان يكون هنالك خدمة من هذا النوع، فماذا تريدين ان تأكلي؟
- طعاماً بسيطاً جداً. فانا عطشانة اكثر مني جائعة!
فنهض قائلاً:
- سأذهب لأرى ماذا عندهم.

وفي باب الغرفة وقف ونظر الى الوراء وقال لها مبتسماً:
- تحولي هنا عندما اعود. . .
وفتح الباب وخرج الى الممر.
واما سارة فنهضت ونظرت من النافذة. كان القطار يزداد سرعة وهو يترك ضواحي المدينة وراءه. وبدأت تشعر بشيء من الخوف يخالط خالقها، اذ لولا وجود تيم لكانت حالها بائسة. . . في بلاد غريبة لا تعرف لغتها ولا تملك فيها ما يسد رمقها.
غير انها كانت لا تزال تشعر بشيء من القلق نتيجة ما أقدمت عليه. على زواجها من تيم بطلبه ام ٢٧ شهر، في قرارة نفسها بعالم انها لم تصبح بعد في عمر يؤهلها للزواج. ولكن ربما صدق قول العجائز منذ القديم، بمعنى ان الحب يجيء بعد الزواج لا قبله. ولكن حتى لو يصدق هذا القول فتيم عن ايقاظ عواطفها الى درجة السعادة التي تطمح اليها كل فتاة، فهي عازمة على اسعاده مهما كلفها الامر. واذا كانت كذبت عليه الآن بقولها له انها تحبه، فهي غير نادمة لان كذبتها هذه خطوة هامة في هذا السبيل.
وبدأ الظلام يخيم، فيما القطار يسرع الى الامام. وتراجعت سارة عن النافذة وفتحت حقيبة يدها لتتناول الوثائق الزمنية، فرأت جواز سفرها وما اليه من الوثائق، بما في ذلك وثيقة زواجها، فأمسكتها وراحت تقرأها مرة ثانية. نعم، انها متزوجة الآن من تيموثي ثابت، وهذه الوثيقة تشهد على ذلك. فأعادتها الى مكانها وهي تتنهد.
كان الحر شديداً في غرفة القطار، اذ كانت خالية من مكيف للهواء. فرشت ماء على وجهها وجددت زينتها، وصففت شعرها ومشطته، ونظفت اسنانها. فعلت كل ذلك ولم يعد تيم بعد. وانشغلت الى عودته لان اعصابها بدأت تتوتر.
فذهبت الى الباب ونظرت خارجاً في الممر. كان تيم قد اتجه الى مقدمة القطار فعجزت ان تلحق به. وكان القطار في منتهى سرعته الآن، مما جعلها تستند بعناية الى جانبي الممر. ثم ازداد اضطرار

القطار فجأة الى حد لم تستطع عنده ان تلقي يدها على شيء تتمسك به، فوقعت على الارض وهي تصرخ. وقبل ان يغمى عليها احست بشيء ثقيل هائل يسقط فوقها.

وحين أفاقت استطاعت ان تتبين وجهاً داكن السمرة يبتسم لها وهي مستلقية في الفراش، ثم سمعته يتمتم كلاماً بالاسبانية لم تفهم منه سوى كلمة وجيدة. وشيئاً فشيئاً بدأ يعود اليها كامل وعيها، فادركت انها في غرفة صغيرة بيضاء الجدران، يتسلل اليها نور الشمس من خلال الستائر. ورأت ممرضة تجلس بقربها على حافة السرير. ثم عادت بها الذاكرة الى القطار وسقوطها في الممر وتيم، فصاحت:

- يا الهي، اين تيم؟ اين انا؟ هل زوجي بخير؟

كانت تتكلم الانكليزية فلم تفهم الممرضة شيئاً، فخرجت وجاءت بممرضة اخرى أكبر منها سناً، تفهم الانكليزية قليلاً، ثم قالت لها:

- زوجك السيد تايت ينتظر عند الباب... أتريدين ان تريه؟

- نعم، نعم ارجوك!

ففتحت الممرضة الباب وراحت تتكلم مع احدهم، فاستطاعت سارة ان تسمع صوت رجل عله تيم.

وعادت الممرضة الى داخل الغرفة يتبعها رجل طويل القامة، فلما وقع نظر سارة عليه جمدت الابتسامة على شفتيها. كان ذلك الرجل جايسون تايت!

وخرجت الممرضة وأغلقت الباب وراءها، فيما وقف جايسون قرب السرير وحدق الى سارة بعينيه الرماديتين الباردتين. وحين أعادت ترديد السؤال اين تيم، اجابها بصوت لا رحمة فيه ولا شفقة:

- تيم مات وأنت بقيت على قيد الحياة!

وأدار ظهره الى السرير كأنه لم يعد يطيق النظر اليها، وأخذ يتمتم كلاماً لم تفهم منه شيئاً، لا سيما انها فقدت الوعي.

وقضت سارة، بعد ذلك، اياماً سوداء، كمن يسير في نفق لا مخرج منه. وكانت تدرك، ولو على نحو غامض، ان كل واحد كان يحاول معاملتها بلطف، الاطباء والممرضات وسواهم، غير انها لم تكن تفهم تمام الفهم ما كانوا يقولونه، ولم تكن أيضاً تبالي به. بل كانت، في الواقع، لا تبالي بشيء على الاطلاق، حتى أنها استسلمت الى كل الفحوصات الطبية التي اجريت لها. الا ان شيئاً واحداً لم ينجحوا في اقناعها به وهو ان تتناول الطعام.

وبعد يومين او ثلاثة نقلوها الى غرفة اوسع مساحة، تنام فيها خمس نساء اخريات رحبن بها ايما ترحيب. الا ان سارة لم ترغب الا في اضناء جفونها وملاقاة ربها. وهذا ما جعلها تمتنع عن الطعام.

وفي احدى الامسيات سمعت صوتاً يسلم عليها بالانكليزية ففتحت اجفانها بلهفة فاذا بها ترى امرأة فتية ترتدي ثياباً بيضاء وتقف بجانب سريرها وهي تحدق اليها بحيرة وتساؤل. كانت المرأة ذهبية الشعر، يملأ وجهها النمش. وعلى ثغرها الواسع ابتسامة ساخرة.

وقالت لها:

- والآن يا سارة، هل لك ان تقرري البقاء هنا معنا؟ لأنه، كما علمت من المسؤولين هنا، لم يعد من الجائز ان تؤجلي اتخاذ هذا القرار.

وفرحت سارة لسماع صوت يتكلم بالانكليزية، ولكنها لم تكن ترغب في ان يحول احد بينها وبين الموت، فاغمضت عينيها ومالت برأسها بعيداً.

فقالت لها المرأة:

- خففي عنك... لا شيء يستحق هذا الحزن الشديد!

فاجابتها بغضب:

- ابتعدي عني... لا اريد ان أراك او اسمع صوتك!

فقالت لها بصوت هادئ:

- هذا افضل من ان تكبتي عواطفك . . .

وسمعت سارة صوت ازاحة كرسي بجانب فراشها، ففتحت جفنيها فرأت المرأة تجلس على الكرسي بدعة واطمئنان وتقول لها:

- دعيني اعرفك على نفسي . . . أنا ماري مكتاب الطبيبة، واعمل في هذا المستشفى الذي هو من أشهر مستشفيات هذه البلاد، وطلبت مني الادارة، بصفتي مواطنة انكليزية ان اتحدث اليك واتفاهم معك . . . والآن يا سارة، اخبريني عما يقلقك وعما ترغبين فيه. لماذا ترفضين التعاون من أجل عودتك الى العافية، فتضربين عن الطعام هرباً من الحياة؟ قالوا لي انك من الناحية الجسدية بألف خير، لولا بعض الجروح البسيطة، وانك قادرة على مغادرة المستشفى بعد يوم او يومين، فقوي عزيمتك وتمالكي نفسك . . . فالحياة كلها لا تزال امامك!

فصاحت بها سارة قائلة:

- كيف اترك المستشفى ولا مكان لي الجأ اليه؟

فنظرت اليها المرأة بحنان وقالت:

- سنبحث هذا الامر فيما بعد. والآن هل عندك ما تستخبرين عنه؟ اخبريني عن قضيتك يا عزيزتي . . . لقد علمت انك فقدت زوجك في حادث اصطدام القطار، واستطيع ان ادرك كيف تشعرين، لأن مثل هذا الحادث وقع لي منذ مدة ليست بعيدة . . . والفرق الوحيد هو ان الحادث كان سقوط طائرة كنت على متنها.

فاظهرت سارة اسفها لما سمعته. اما الطبيبة مكتاب فنظرت من النافذة وقالت:

- نعم، بعد وقوع الحادث كنت كأنني في الجحيم، وهكذا انت الآن . . . ولكن الحياة تستحق ان تعاش يا عزيزتي . . . وهي لا تتوقف عن السير الى الامام بسبب حادث، فمن الخير اذن ان نبذل اقصى ما يمكن من الجهد للعيش بهناء، ولا بديل لنا عن ذلك.

وبدأت سارة، بالرغم منها، تشعر ببعض الميل نحو تلك الزائرة.

وتابعت الطبيبة كلامها قائلة:

- مررت بأيام صعبة وسيئة يا عزيزتي، وزاد الطين بلة أخو زوجك الفاقد الذوق حين جاء لزيارتك وظن الذين استقبلوه انه زوجك لأنه يحمل اسم العائلة. لا شك ان هذا الخطأ سبب هزة عنيفة لك، ولكنه وقع لسوء الحظ، والسيد نايت اعتذر أيضاً لوقوعه، وكاد تلفن عدة مرات للاستعلام عنك قبل ان يسمحوا له بالمجيء لزيارتك . . .

فرفعت سارة صوتها صارخة:

- لا، لا . . . لا أريد ان ارى وجهه . . . فهو يبغضني ويلومني على موت تيم.

فاجابت الطبيبة معزية:

- انت مخطئة في ظنك هذا يا عزيزتي . . . لا احد يمكنه ان يلومك لحادث الاصطدام كان ايضاً حادث وقع منذ زمن بعيد، وكان الخطر عليك شديداً جداً، وانما نجوت باعجوبة . . .

- باعجوبة؟

- نعم، باعجوبة، وستدركين ذلك يوماً ما. اسمعي . . . سأعطيك عنواني في ادنبره وبعد عام يمكنك ان تزوريني هناك وتخبريني اذا كنت على صواب فيما اقوله لك.

قالت هذا الكلام ووضعت الورقة على الطاولة بجانب السرير ثم نهضت وقالت لها:

- السيد جايسون نايت ينتظر في الخارج. هل تسمحين له بالدخول؟

- هل هو هنا الآن؟

صاحت سارة بصوت مرتجف وتطلعت في الغرفة حولها ثم تابعت كلامها قائلة:

- لا تدعيه يدخل، ارجوك . . . لا اريد ان اراه!

- هل انت جادة في ما تقولين؟

- نعم، نعم. انه يحبني.
وبينما هي تشهق بالبكاء قالت لها الطبيبة:
- كنت على حق حين ظننت أنّ هذا جزء مما تعانين منه... انا اجتمعت بالسيد ثابت ولا اكتمك انه رجل فظّ الطبع، ولكن يجب الا تسمحي لأحد بأن يسيطر عليك يا سارة، انت شخص حر في ما يفعل، ولا سلطة لأحد عليك. وانت فتاة حسناء ويجب ان لا يزعجك رأي الآخرين، فيك، وخصوصاً... الرجال!
واقتربت الطبيبة من السرير وهمست قائلة:
- لا تنسي يا عزيزتي ما قلته لك، واعلمي انك يجب ان تواجهي هذا العالم بشجاعة وثقة بالنفس، واياك ان تدعي السيد ثابت يتغلّب عليك او يخيفك!
وتطلّعت سارة الى وجه تلك المرأة، فخيّل اليها انها ترى فيه نوراً في آخر نفق مظلم. كان ذلك رائعاً وعجيباً، كأنما الحياة عادت تسري في عروقها. وسرّها ان تشعر الآن انها هي نفسها ولا شيء آخر.
لمنذ طفولتها وهي تخشى الآخرين وتحسب [illegible] لهم... في المدرسة... في مراهقتها او الفـ[illegible]... حتى في أيام علاقتها القصيرة مع تيم!
وانتصبت جالسة في الفراش لأول مرة، ولأول مرة منذ وقوع الحادث شعرت بزوال الالم حين تحرك جسمها. ورفعت رأسها عالياً فلم تحس بأي وجع على الاطلاق.
وقالت للسيدة مكتاب:
- انت على حق، يا سيدتي، في كل ما قلته لي. أشكرك على زيارتك لي، وارجوك ان تخبري السيد ثابت ان يتفضل بالدخول؟
وما ان خرجت السيدة مكتاب حتى دخلت الممرضة الحسناء ذات البشرة السمراء ويرافقها جايسون ثابت. وفيما هو مقبل نحو السرير حدّقت اليه النساء اللواتي في الغرفة،

وهن مأخوذات بقامته الفارعة، وكتفيه العريضين، ووجهه الذي ينم عن كبرياء وصلابة. كان يرتدي بنطالاً داكن اللون، وقميصاً ابيض، وربطة عنق، مما زاد جاذبيته وضاعف رجولته.
وقدمت الممرضة له الكرسي التي كانت تجلس عليها الطبيبة مكتاب، ثم ابتسمت وهي تكلمه بالاسبانية، كلاماً بدا عليه انه فهمه. وما ان غادرت الغرفة حتى جلس وادار وجهاً عابساً نحو سارة وقال:
- اخبروني هنا ان صحتك صارت على ما يرام.
- نعم... وهذا لطف منك ان تأتي لزيارتي!
نطقت هذا الكلام بصعوبة وهي ترغم نفسها على النظر اليه كمن ينظر الى بئر عميقة. وعاد الى ذاكرتها قول الطبيبة مكتاب لها: لا تدعي احداً يسيطر عليك ويخيفك.
وزم جايسون شفتيه الرقيقتين المتحركتين وقال لها:
- اذا كنت انت لا تعنين ما تقولين. وفي كل حال، اعلمي ان اللطف ليس من صفاتي اذا كان الامر يتعلق بك.
وحوّل نظرته عنها كأنه لم يعد يطيق النظر اليها وتابع كلامه قائلاً:
- بصراحة، لا شيء اتمناه اكثر من ان اغسل يدي منك. ولكن ذلك غير ممكن مع الأسف انت تزوجت اخي، وهذا يعني ان علي مسؤولية تجاهك، ان شئت ذلك ام ابيت! والذي عزمت عليه هو ان اقوم بهذه المسؤولية بأسرع وقت ممكن، حتى اخرجك من حياتي الى الابد!
وتمكنت سارة من الاحتفاظ بأعصابها هادئة. كان أخف وطأة عليها لو انها تستطيع ان تنظر اليه كرجل لا صلة شخصية لها به، كأنه مدير مصرف، او محام او امثالهما من الذين لا تتوقع منهم اي تفهم او عطف او لطف، لانهم حكموا عليك مسبقاً.
فقالت له:
- فليكن، ان كانت هذه ارادتك!

فحول عينيه نحوها بسرعة ورفع حاجبيه الاسودين وقال:

- سأدخل في صلب الموضوع، اذن. فقد لا نجتمع، بالضرورة، مرة اخرى. وهذا، على ما اعتقد، ما نرغب فيه كلانا.

فأجابت سارة:

- اوافق على كلامك...

واخرج جايسون بطاقة من جيبه ووضعها على الطاولة بجانب السرير وقال:

- في هذه البطاقة عنواني في انكلترا. فالى ان اعود ... واجتمع بمحامي، لا فكرة واضحة عندي بخصوص الوضع القانوني.

فقطبت سارة جبينها وسألت قائلة:

- اي وضع قانوني هذا؟

فزم شفتيه مرة ثانية واجاب:

- لا تضيعي الوقت مدعية ان الامر ليس وارداً في عقلك الصغير الجشع... وفي كل حال، انا غير مستعد الآن لمدك بالمعلومات التي تتوقين الى معرفتها. فلا علم لي بعد اذا كان اخي ترك وصية ام لا. ولكن بصفتك ارملة، في القانون الطبيعي، كما اعتقد، ان تطالبي بحقوقك كاملة من الارث!

فتمتمت قائلة:

- لا اعرف شيئاً عن هذا الموضوع وصية، ارث، وما الى ذلك!

فتابع كلامه ساخراً:

- الا تعرفين؟ انك تفاجئينني بادعائك هذا. وماذا عن زوج امك؟ هل غاب ذلك عن باله ايضاً؟ ومهما يكن، فانا ارجو ان تسمحي لي بثلاثة اسابيع من هذا التاريخ، ريثما اعود الى انكلترا للاهتمام بالامر. وعندئذ بامكانك انت، او زوج امك، الاتصال بي... هل هذا واضح؟

ونهض واقفاً وتابع كلامه قائلا بلامبالاة:

اتمنى لك الشفاء العاجل!

واحست سارة بالفوار وهي تقول له:

- ارجوك ارجوك ان لا تذهب!

فالتفت اليها قائلا:

- لا اظن ان هنالك ما تريدين قوله.

فاستجمعت كل قواها وقالت:

- نعم، هنالك ما اريد ان اقوله الآن، وهو انني بحاجة الى بعض المال.

فوقف وحدق اليها قائلا:

- انتظرت ان اسمع منك هذا الكلام، عاجلاً، ام آجلاً. ولكن اخطأت ظنك يا عزيزتي... فلن تحصلي على درهم واحد حتى تنتهي من حصر ارث اخي والى ذلك الحين، عليك ان تتكلي على ذلك الرجل الذي هو زوج امك!

فقالت له:

- اظهرت بشكل واضح وصراحة أنك تبغضني ولكنك الحر فيم، ولا اظنك ترضى ان تترك فتاة وحيدة مثلي، في بلاد غريبة لا اصدقاء لها فيها ولا اقارب ولا مال.

فعاد الى الجلوس وقال متعجباً:

- هل هذا صحيح؟

- نعم.

ونظر اليها متعجباً وقال ساخراً:

- يا لعينيك من بنفسجتين خارقتين في ندى الصباح! ابهما كنت تنظرين الى اخي حتى اقنعته بالزواج؟

فتذكرت سارة كلام الطبيبة: لا تدعيه يسيطر عليك ويخيفك فقالت له:

- هل من الضرورة ان تتصرف معي مثل هذا التصرف الحيواني الفظ؟

وساد الصمت طويلا، ثم قطعه جايسون بقوله:

- انا قادم لتوي من جنازة اخي، فماذا تنتظرين مني؟
فتأوهت وغطت وجهها بين يديها، ثم اخذت تجهش بالبكاء. ولم تكن بكت منذ علمت بموت تيم لأنه لم يستطع ان يوقفها عن البكاء شيء.
ولما جفت دموعها شعرت بذراع الممرضة تحيط بها وتقول:
- بكاؤك هذا كله صحة وعافية!
فابتسمت لها سارة وتمتمت سائلة:
- هل ذهب السيد فايت؟
- نعم، وقال انه سيعود غداً.
وخشيت سارة ان تكون عودته مناسبة اخرى لتعذيبها وتساءلت: أما لهذا الليل من آخر؟
وقبل ان تغمض اجفانها للنوم تناولت كثيراً من الحساء، فسر الممرضات انها عادت عن الاضراب عن الطعام.
وفي الصباح تناولت طعام الفطور، ثم مشت لأول مرة الى غرفة الحمام حيث استحمت. وهكذا بدأت الحياة دورتها من جديد. ورضيت سارة بذلك كل الرضى.
ثم جاء الطبيب في زيارته الصباحية تحيط به مساعدوه، ووقف قرب سريرها وسألها قائلاً بالانكليزية:
- كيف حالك اليوم يا سيدتي؟
- بخير... انا بخير، شكراً.
فانشرح الطبيب لجوابها وطلب منها ان تريه جراحها، وحين انتهى من النظر اليها تبادل الحديث مع الممرضة، فلم تفهم سارة منه سوى كلمة واحدة «السنيور فايت»، وتمنت لو انها فهمت الحديث كله.
وقال لها الطبيب:
- انت محظوظة يا سيدتي لأن جراحك كانت خطرة، وكذلك المرة التي انتابتك بتأثير الاصطدام. والآن، فلا حاجة الى بقائك في

المستشفى. فمن الافضل ان تعودي الى استئناف الحياة العادية!
ولاحظت سارة العطف في عيني الطبيب الحزينتين. كان على علم طبعاً بالحادث وبمصرع تيم، ولكن لم يكن من المفيد ان يعلم ان لا حياة عادية في متناول يدها الآن، لا حياة حقيقية من أي نوع تعود الى ممارستها.
وتابع الطبيب كلامه قائلاً:
- اخبرتني الممرضة ان اخ زوجك على اتصال بالمستشفى وسيهتم بأمرك في الوقت الحاضر.. فاذا كان الأمر كذلك لا أرى أي سبب يحول بينك وبين مغادرة المستشفى غداً. انا اتمنى لك حظاً سعيداً يا سيدتي!
وربت على كتفها بلطف ومال الى المريضة الاخرى في الغرفة.
وعاد جايسون فايت في ساعة متأخرة من ذلك النهار، فوجد سارة جالسة قرب السرير، فبادرها بالقول بدون مقدمة:
- دعينا نستأنف حديث البارحة.
ونظرت سارة اليه بدون ارتعاش هذه المرة. كان يرتدي بنطالاً ازرق اللون وسترة من الكتان.
فقالت له:
- لك ما تشاء... ولكن اين وصلنا في حديثنا البارحة؟ أراني نسيت!
- كنت تقولين لي، بكلام مؤثر، انك وحيدة في هذا العالم، لا اهل عندك ولا مال. فهل توقعت من كلامك هذا ان يتمزق قلبي حسرة وشفقة عليك؟
- كلا، ابداً، لن احاول المستحيل، لأنك انت اخبرتني بانك لا تشعر بأية شفقة نحوي.
- اذن، ماذا كنت تتوقعين؟
فنظرت سارة الى يديها اللتين كانتا على ردائها الابيض الكتان الذي استعارته من المستشفى فسرها ان تجدهما غير مرتجفتين. وقالت

لها:

- كنت أتوقع المعاملة ذاتها التي من الطبيعي ان تمنحها لأي فرد من افراد عائلتك، وجد نفسه وحيدا لا يملك شيئاً في بلاد غريبة. ومع ذلك اريدك ان تعلم اني كنت ارفض كل الرفض ان اطلب منك شيئاً لو ان لي احداً سواك يمكن ان ألجأ اليه.

ونظر واحدهما الى الآخر مليا نظرة عدائية، ثم قال لها:

- اين زوج امك؟ لماذا لم تلجأي اليه؟

- لا اعلم اين هو، ولا الى اين كان ذاهباً حين غادر الفندق في اكابولكو. وانا لم اشأ ان استخبر عنه، لاني لا اريد ان اراه ابداً!

فقال جايسون ساخراً:

- لن تريه الا بعد ان تقبضي الغنيمة.. اهذا ما تقصدين؟

فتجاهلت سارة ملاحظته وتابعت كلامها قائلة:

- قلت لك لن اراه ابداً.. وانا الآن وحيدة، فاذا استطعت ان اعود الى انكلترا، فسأحاول ان اجد هناك من يعينني، كمديرة مدرستي مثلاً.. وكل ما أرجوه منك الآن هو ان تقرضني المال الكافي لعودتي، واعدك ان اعيده اليك في اقرب وقت ممكن...

وكان جايسون يراقبها بامعان، فقال لها:

- لا اخفي عنك انك تثيرين اهتمامي بالرغم من كل شيء. انا لا اصدق كلمة واحدة مما تقولينه، ولكن يجب ان اجازف بتلبية طلبك لأن تيم تزوجك، لا اكثر ولا اقل. على اني احذرك انت وزوج امك، من محاولة الاحتيال عليّ وخداعي. ذلك لان ردي على ذلك سيكون قاسياً لا رحمة فيه.

ووجدت سارة نفسها مأخوذة بنظرته، فلم تستطع ان تبدي حراكاً، ولا ان تجيب بشيء.

فقال لها:

- هل استنتج من كلامك ايضاً ان لا ثياب عندك؟

- عندي الثياب التي كنت البسها وقت الحادث.

وكادت عيناها تلمعان، فبادرها بالقول:

- بربك لا تعودي الى البكاء... فهذا يزعجني!

وأرادت ان تصرخ في وجهه قائلة: «وانت أيضا تزعجني... فانت لست انسانيا من لحم ودم...» ولكنها ضبطت اعصابها ولزمت الصمت. ثم قال لها:

- يبدو ان بامكانك ان تغادري المستشفى غداً... سأجلب لك ما تريدينه واتركه في مكتب الاستعلامات، ثم اتي اليك فيما بعد... والآن ما هو قياس حذائك... أما سائر الأشياء فاستطيع ان احزر قياسها بنفسي!

وكان في هذه الاثناء يمعن النظر في ردائها العتيق، فقال:

- لا أزال اتذكر جمالك الساحر كما كنت تعرضينه على العيون في اكابولكو!

وفيما هو ينهض واقفاً اخذ يرمقها بنظرات بعثت القشعريرة في جسم سارة.

ثم غادر الغرفة بدون ان يتفوه حتى بكلمة وداع.

وفي اليوم التالي تلقت سارة الثياب الجديدة مع تعليمات جايسون بان تكون مستعدة لمغادرة المستشفى في الساعة العاشرة بدون تأخير.

وراودتها فكرة التأخير لتريه انها ليست خائفة منه. غير انها امتنعت عن ذلك لانها خشيت ان تزيد في عداوته لها.

وتأوهت واخذت تتأمل الثياب التي أرسلها اليها. وكم كانت دهشتها عظيمة حين وجدت كل شيء بخلاف ما توقعت.

كانت الثياب فاخرة تفوق الوصف، حتى ان النسوة اللواتي يشاركن سارة الغرفة حبسن انفاسهن من شدة الاعجاب بها. وبعد ان ارتدتها توهجت بما كانت عليه من الرونق ورهافة الذوق.

ولم يكن في الغرفة سوى المرآة الصغيرة التي لا تزال تحتفظ بها في حقيبة يدها، فاخرجتها كما اخرجت المشط وسائر أدوات الزينة وراحت تمشط شعرها وتتزين بعض الشيء. وما كادت تنتهي حتى

دخلت الممرضة لتعلن لها ان جايسون في انتظارها.

فودعت زميلاتها في الغرفة وتمنت لهن الشفاء العاجل، ثم خرجت وهي غير متشوقة للقاء الشخص الذي كان كل شيء الا لطيفاً معها.

وكان جايسون واقفاً والى جانبه الممرضة التي بدت قصيرة القامة ازاء قامته المديدة الفارعة. وكانت الممرضة تضحك من كلام قاله، وكان هو يبتسم لها. وفوجئت سارة بابتسامته التي لم تشاهدها من قبل، والتي جعلته يبدو بشراً سوياً. ولكنه ما ان رآها حتى زالت الابتسامة من شفتيه، وقال لها:

- هل انت مستعدة يا سارة؟

فارتجفت في داخلها حين سمعته يلفظ اسمها لاول مرة. وخطر لها خاطر، وهو ان الامر يكون غير ما كان عليه بينها وبين جايسون، لو ان احلد لم يلق مصرعه، ولو انه تفهم وضعها على حقيقته ورضي بها كصديقة. ولكنها سرعان ما ازالت هذا الخاطر من بالها لاعتقادها ان الرجل لا يمكن ان يكون صديقها ولو بعد مليون سنة.

واجابت على سؤاله قائلة:

- انا على اتم الاستعداد.

والتفتت لتشكر للممرضة على لطفها ومعونتها، وكذلك سائر الممرضات. وودّت لو قدمت اليهن هدية اعتراف بالجميل، ولكن ما العمل والحال كما هي عليه. وحانت منها نظرة فرأت الممرضة تحمل صندوقاً مسطحاً لماعاً عقدت عليه شريطة حمراء من المخمل، فقدمته اليها والى جايسون وهي تتسم بسرور. ثم تبادلت بعض العبارات مع جايسون بالاسبانية خلصت سارة فيما بعد انها كانت تعرب عن اسفها لخسارة تيم وتدعو الى الله ان يمن بالصبر والعزاء.

وقال لها جايسون:

- هنالك سيارة تنتظرنا...

وأمسك ذراعها وسار بها عبر باحة المستشفى، فتساءلت اذا كان يعرف كم يده قوية، وكم يوجعها بقبضته. وخيل اليها وهي تسير الى

جانب انها معتقل يقاد تحت الحراسة الى مكان رهيب مجهول.

ووصلا الى السيارة المنتظرة، فساعدها على الدخول اليها، ثم جلس الى جانبها واعطى اوامره للسائق الداكن البشرة، ففهمت سارة منها كلمة «المطار» وتساءلت اذا كان ينوي ان يصعدها الى طائرة مسافرة الى انكلترا. فاذا كان الامر كذلك، فلماذا ابتاع لها ذلك الفستان الكتاني الرقيق الذي لا يلائم فصل الشتاء في انكلترا الآن؟

وتطلعت الى وجه الرجل الجامد بقربها، فيما السيارة تشق طريقها وسط الزحام، وقالت له:

- اشكرك للثياب التي اشتريتها لي... ولكني لا اعرف كيف يمكنني ان اطير راجعة الى انكلترا بدون ان آخذ معي سترة تقيني الصقيع الذي سأصادفه هناك في هذا الشهر من السنة.

فهز كتفيه وقال باختصار:

- ستري!

ولم تتابع سارة هذا الموضوع، لأنها كانت متأكدة من عدم اهتمامه براحتها، ولكنها املت ان يعطيها بعض المال قبل ركوب الطائرة لتشتري ما تحتاج اليه عند وصولها الى لندن.

كان المطار الذي وصلا اليه كبيراً جداً ومزدحماً. وكانت سارة معتادة على المطارات، ولكنها كانت تترك كل الترتيبات والتدابير لرالف. والآن ايضاً اعتمدت على جايسون في ان يتولى هذا كله، فاخذت تتبعه اينما سار، بدون ان تسأله عن شيء، وهي واثقة انه يريد الخلاص منها اكثر مما كانت تريد الخلاص منه.

وبعد ان انهى المعاملات الاولية، عاد اليها وقال:

- علينا الانتظار قليلاً. هل ترغبين في فنجان من القهوة او اي شيء آخر؟

- كلا، شكراً.

وسارا الى قاعة الانتظار وطلب منها الجلوس فاعتذرت، لأن

اعصابها كانت متوترة من شدة اللهفة الى مجيء الوقت الذي فيه تبتعد عن هذا الرجل المخيف لتتنفس بحرية.

ووقف جايسون قريبا صامتاً يتأمل المسافرين وهم يسيرون ذهاباً واياباً في القاعة.

وأعلن مكبر الصوت عن حلول موعد اقلاع الطائرة، فقال لها جايسون وهو يقودها بذراعها:

- هيا بنا.

فتوقفت سارة وقالت له:

- ليس معي شيء من المال على الاطلاق..

فاجابها ببرودة:

- لن تحتاجي الى مال. اسرعي، لئلا نتأخر.

وهنا ادركت سارة الحقيقة، وهي انه لم يكن ينوي ارسالها الى انكلترا

واجتازا الحاجز وسارا نزولاً في طريقهما الى الطائرة. وفي وسط الزحام لم يكن لها خيار إلّا ان تتبعه حيثما ذهب. وفي اي حال، لم يترك ذراعها التي كان يقبض عليها بقوة لا بدّ انها تركت اثراً في جسمها الغض.

وسألته قائلة بصوت رقيق:

- الى اين نحن ذاهبون؟

فلم يسمعها او لعله تجاهل انه سمعها، لانه لم يجب، بل ازداد سرعة في السير. فاستسلمت الى واقع الحال، لانها بدون مال لا تستطيع ان تقاومه. وتساءلت ماذا تكون نصيحة الطبية مكتاب لها في مثل تلك الحال.

واقلعت الطائرة قبل ان يتبادلا كلمة واحدة. وحلت سارة رباط المقعد من حول خصرها وجالت بنظرها في الطائرة، فاذا بها تعج بالمسافرين. ونظرت الى الرجل الجالس الى جانبها يقرأ بعض الاوراق التي يحملها في حقيبته.

وقالت سارة لجايسون:

- هل لي ان اعرف الى اين انت ذاهب بي؟

فقلب بضع اوراق كانت بين يديه، كما لو انه كان يبحث عن شيء ما، وتجاهل سؤالها. ثم بدا كأنه وجد الشيء الذي يريده، لانه اعاد ترتيب الاوراق كما يجب ان تكون. وهنا التفت اليها قائلا:

- نعم، من حقك ان تعرفي. نحن ذاهبان الى بوكاتاك، الى جزيرة كانكون وهي ليست جزيرة بالمعنى الصحيح. وان كنت لم تسمعي بها او تعرفيها، فهي منتجع حديد انشيء في السنوات الاخيرة. والواقع اني كنت سأسافر اليها في مهمة تجارية، واضطررت الى تأجيل سفري بعد وقوع الحادث.

فقالت له:

- عندما اخذتني الى المطار ظننت اني مسافرة الى انكلترا

فنظر اليها بقساوة واجاب:

- لم اقل لك شيئاً بخصوص سفرك الى انكلترا!!

- ولكنك كنت تعلم ان ذلك هو ما اريده..

فافتعل ابتسامة وقال:

- يبدو ان خططي بشأنك هي غير ذلك. فأنا عازم على ان ابقيك معي الى ان نعود الى انكلترا معاً. فانا أراك تستعجلين الوصول الى هناك. فلعلك على موعد مع زوج امك!

فقالت له بغضب ظاهر:

- اخبرتك البارحة اني لا أريد ان اراه ابداً.

- لا اصدقك... وأريد ان اعرف الحقيقة!

وبذلت اقصى جهدها لضبط اعصابها كي لا تنهال عليه بالضرب كما فعلت في اكابولكو فما من انسان في حياتها كلها استطاع ان يثير فيها ذلك القدر من الغيظ الشديد.

والقت نظرة على سائر المسافرين وقالت له بصوت خافت مرتجف:

- اظن انه كان عليك ان تخبرني من قبل بما نويت ان تفعله.

- اتريدين مني ان اخبرك حتى تستخدمي سلاحك الذي تجيدين استخدامه، وهو ان تذرفي دموع التماسيح الى ما لا نهاية.

فاوحت وقالت بعصبية مكبوتة:

- انت احقر رجل على وجه الارض!

فرفع حاجبيه قليلاً وقال:

- اصحيح هذا؟ في اي حال، اسمحي لي ان اشغل وقتي الآن بقراءة بعض الاوراق لان الحديث بيننا ليس على المستوى المطلوب من التهذيب.

ومد يده الى جيبه وتناول رزمة من الاوراق ومجلة مصورة، وقال لها:

- اتريدين ان تتصفحي هذه المجلة؟ بعد قليل سيقدمون لنا بعض القهوة.

وأخذت المجلة منه وأدارت له ظهرها وراحت تنظر من النافذة الى الغيوم البيضاء التي كانت تسير على غير هدى في ذلك الفضاء الشاسع.

٤ - هذه دفعة على الحساب

كان الفندق الذي نزل فيه جايسون وسارة، بعد هبوطهما في جزيرة كالنكون، مفاجأة لسارة، ذلك لأنه لم يكن ضخماً كالفندق الذي في اكابولكو، بل بناء متواضعاً وسط ما بدا انه ضاحية حديثة

كان مدخل الفندق يحتوي على أثاث من الجلد البني المربع، يتخلله حوض أو حوضان من النخيل، ويعلوه على الجدران مناظر طبيعية من المكسيك. ولكن أرضه لم تكن مفروشة بالرخام، ولا في حدائقه نوافير ماء، ولا كان يغص بالسواح الرائحين والغادين بثياب الاستحمام. كان هنالك رجل وامرأته فقط، جالسين حول احدى الطاولات يتحدثان وأمامهما كأسان من الشراب.

وقال لها جايسون:

- هذه شيودا دو كالنكون التي أرادها مصمموها ان تتألف من مساكن ومكاتب لإيواء الموظفين الذين يعملون في القطاع السياحي للجزيرة.

- هل جئت الى هنا من قبل؟

- كلا، ولكنني أعرف انها سوق رائجة لتجارتي، شرط ان تجري الامور على طبيعتها. ولدي موعد مع احد الأثرياء الكبار هنا بعد الظهر، أشياء كثيرة تتوقف على هذا اللقاء. وفي أثناء غيابي، عليك ان تتدبري أمرك

- لا تقلق عليّ، ارحوك!

نظر اليها نظرة حادة تنم عن الريبة والشك وسار الى مكتب الاستقبال. وراقبته وهو يتحدث الى المرأة هناك، فحتى ظهره بدا ظهر رجل شديد العزيمة، مكتفياً بذاته ويعرف ما يريد، وتمنت ان تكون كذلك.

وعاد اليها يحمل المفاتيح، مصعداً الى الطبقة الثانية، ثم الى غرفة في آخر الممشى. وأجالت سارة نظرها في الغرفة الصغيرة، ذات الأثاث الحديث البسيط، وفيه سرير مزدوج وعليه غطاء من كتان معرق. وبدا لسارة ان الغرفة تحتوي على كل ما يحتاج اليه سائح من وسائل الراحة. ومشت عبرها الى النافذة ونظرت الى الشارع تحتها حيث الحر كان شديداً.

وكان جايسون يقف وراءها فقال ساخراً:

- أخشى ان تكون هذه الغرفة أدنى مستوى مما اعتدت عليه ولكني أعتقد انك ستجدين فيها كل الراحة، على الرغم من انها لا تحتوي على مكيف للهواء، بل على مروحة معلقة في السقف.

فابتعدت سارة عن النافذة وأجابت:

- ما أجمل هذه الغرفة!

واستلقت على الفراش وهي تتأوه من شدة التعب، ثم قالت لجايسون:

- أريد ان استسلم الى النوم اذا كنت لا تمانع.

فهز كتفه علامة الموافقة وقال:

- ولكن الا ترغبين ان تتناولي طعام الغداء؟

- كلا، شكراً.

ودفنت رأسها في المخدة وتمنت لو امكنها ان تنام الى الأبد.

وظهر التردد على جايسون وهو ينظر اليها، فقال:

- يصيبك الجفاف اذا لم تتناولي بعض الشراب. فمنذ ان شربت فنجاناً من القهوة على متن الطائرة لم تشربي شيئاً. فدعيني اجلب لك زجاجة من أي شراب تفضلين!

وكانت على وشك الوقوع في نوم عميق حين عاد يحمل زجاجة من الشراب. فسكب منها كوباً وناولها اياه، فتناولته شاكرة بيد ترتجف من النعاس، حتى انها صبت قليلاً من الشراب على فستانها الابيض.

فأخذ جايسون الكوب من يدها وطوق عنقها بذراعه وأنهضها من الفراش، وشعرت سارة بيده القوية، فثارت فيها نوازع لم تعرفها من قبل. كان عدوها وكان من المفروض ان تنفر من ملامسته لها، فماذا جرى حتى انها لم تفعل؟ وحين شربت كوب الشراب واعادها الى الفراش ورفع يده عنها أحست برغبة جامحة في البكاء.

وسحت عيناها بالدموع حتى غشي بصرها فلم تتبينه وهو يقف قرب سريرها بقامته النبيلة. وقالت في نفسها لو انه يعاملني بلطف كم كان كل شيء يهون. وقررت ان تتمسك بالصبر لعله يراها بمنظار آخر.

وغمغمت قائلة:

- جايسون... هل بالامكان أن نصبح صديقين؟

فأجابها متسائلاً:

- يا الهي، أي نوع من النساء أنت!

وابتعد عن السرير وعبر الغرفة نحو الباب، ففتحه وأغلقه وراءه بعصبية شديدة.

فحولت سارة وجهها نحو المخدة وهي على يقين انه لن يسامحها ومهما تكن الحجج والبراهين فهو سيظل يضع اللوم عليها في مصرع اخيه. ولذلك رأت ان تستعمل الحكمة في معالجة الأمور الى ان تعود الى انكلترا.

وعلى هذه الخاطرة أسلمت جفنيها للنوم. وحين استفاقت وجدت انها نامت وقتاً طويلاً، وأنها استعادت قواها الى حد لم تكن تحلم به، وكانت المروحة لا تزال تدور في السقف، ولكن الغرفة بقيت حارة. ونظرت الى ساعتها، فاذا بها تشير الى ما يقارب

السادسة.

ثم نهضت من الفراش ونظرت الى الفستان الذي لا يزال عليها، فوجدت انه لم يعد نظيفاً، فيجب عليها استبداله اذا كان لجايسون ان يصطحبها معه.

وأزعجها الحر والعرق وشعرت بحاجة الى الاستحمام، ولكن غرفة الحمام لم تكن في الغرفة بل في مكان ما الى جانب الممشى، فاكتفت بالمغسلة ونزعت عنها ثيابها وأخذت ترش الماء على جسمها. ثم عمدت الى تجفيفه وهي جالسة أمام المرآة تصفف شعرها. وفي هذه الأثناء أحست بالجوع وتساءلت كيف تجد بعض الطعام. وعلى قدر معرفتها بمزاج جايسون، فانه سيتركها جائعة الى وقت العشاء، عقاباً لها على رفضها تناول طعام الغداء.

وسرها انها استطاعت، على الأقل، ان تصلح ما خلفته الأيام الثلاثة الاخيرة من آثار في وجهها، فتجملت وتطيبت وعادت الى عز صباها

وفيما هي تفعل ذلك لمحت صورة جايسون في المرآة فصاحت:

- ماذا، أشبح ما أرى؟

- . . . أم شيطان؟

واستدارت سارة لتراه واقفاً ومستنداً الى اطار الباب وعيناه محدقتان اليها، فقالت بغضب وهي تتناول فستانها.

- كان عليك ان تدق الباب او تنذرني بطريقة ما حتى يتسنى لي ان ألبس ثيابي.

فتقدم اليها بخطى وئيدة وانتزع الفستان منها قائلاً:

- لم أتعود أن أدق الباب قبل الدخول الى غرفتي.

فصاحت:

- غرفتك؟ اذن، لماذا. . .

وجالت بنظرها في الغرفة، فكان كل ما رأته هو حقائب سفر صغيرة مستندة الى الحائط في احدى الزوايا. كانت هناك منذ

وصولها، غير انها لم تلاحظ وجودها.

- ولماذا أنت هنا في هذه الغرفة؟ ولماذا أنت نائمة في فراشي؟ الجواب هو ان خطأ وقع في مكتب الاستقبال!

وكان اختياره للكلمات يدل على انه كان يقول ذلك من باب الدعابة، غير انه لم يكن يبتسم، بل كان ينظر اليها بطريقة بعثت في عروقها تياراً أشبه ما يكون بالخوف. ولو لم تكن تعرف انه يبغضها لكان خوفها حقيقياً وشديداً.

فقالت له:

- لعلك، اذن، تريني أي غرفة هي غرفتي. . .

ومدت يدها لتتناول منه فستانها، فألقاه على السرير وقال:

- لا تحتاجين اليه بعد الآن. فالبائعة في مكتبكم هي التي اختارته لك لا أنا. فأنا لا اختار لك اللون العذري الأبيض بل هذا اللون الذي يليق بك اكثر. . .

ومشى الى حيث العقط علبة كان أدخلها معه، ففتحها ورفع فستاناً حريرياً رقيقاً قرمزي اللون وقال:

- أليس هذا الفستان مثيراً؟ ألا يجعل الرجال هنا يحسدونني حين يرونني أتناول الليلة طعام العشاء برفقتك؟ ألا يحاول كل شاب في هذا المكان ان يفوز بك دوني؟ ولكن. . . ثقي يا ساحرتي الصغيرة اني انا حاميك والمدافع عنك، شئت ذلك ام أبيت!

وجمدت سارة في مقعدها وقالت:

- لا أريد ان أخرج معك. . . أليس في استطاعتي ان أتناول طعامي هنا؟

فاتكأ على الباب مبتسماً بعض الشيء وأجاب:

- أوه، ولكن لا أظنك تحرمينني سعادة مرافقتك لي. أنا متأكد ان لدينا الكثير مما يقوله واحدنا للآخر ونحن كما نحن أقرباء!

وسالت دموع الغضب من عينيها وهي تقول:

- هل من الضرورة ان تكون هكذا كما أنت؟ لماذا لا ترسلني الى

انكلترا وتتخلص مني؟ أي سعادة يمكنك ان تنال من هذا الذي تفعله بي؟

وبدا لها ان عينيه الرماديتين الغريبتين بدأتا تظلمان وهو ينظر اليها، وكأنه لا يراها على الاطلاق. ولأول مرة لم تر في وجهه الغضب، بل الكآبة الصارخة العارية.

ومشى جايسون بضع خطوات وهو يقول:

- أرى فيك ما يشبه المخدر الذي يخفف الألم!

وهنا أخذت سارة تحس احشاءها ترتجف. وفجأة تذكرت الكلام الذي سمعته يقوله لها في المستشفى. «يا الهي، سأجعلك تدفعين الثمن!» وعادت بها الذاكرة ايضا الى ما جرى بينها وبينه قرب البركة في اكابولكو، كيف وقف بقامته المديدة وقميصه القطني المفتوح عند صدره لتظهر عضلات كتفيه القويتين. وتذكرت ايضا كيف ان ضخامة جسده وجبروته جعلاها تشعر كالحشرة امامه. غير ان الفرق كان شاسعاً بين وجودها معه في ذلك اليوم وبين وجودها معه الآن. ففي ذلك اليوم كان المكان يغص بالسائحين والسائحات، وأما الآن فليس في هذه الغرفة احد بامكانها ان تستخدمه. وحانت منها التفاتة الى السرير المزدوج فاستولى عليها رعب شديد.

وخطر لها انها يجب ان تحتفظ برباطة جأشها، وقبل كل شيء عليها الا تجعله يشعر بخوفها الشديد منه. وعزمت لأول وهلة ان تقاومه بكل قواها وأن ترفض الانقياد اليه مهما كلفها الامر. وبعد التفكير أدركت ان ذلك لا يجدي، فقوتها الجسدية ليست شيئاً ازاء قوته، فبامكانه ان يفعل بها كما يشاء.

وكان يقف امامها وعيناه تلمعان ببريق الانتظار والتأهب. وخيل اليها انه أشبه بهرة بريه تراقب فريستها قبل ان تنقض عليها.

واقترب منها حاملاً الفستان الجديد وأمرها ان ترتديه. فحملقت في الفستان الرقيق الصاخب اللون، أدركت انه انما أرادها ان ترتديه لتظهر فيه بمظهر بنات الهوى كما اعتبرها.

فقالت له:

- لا ارتدي فستاناً كهذا، ولن اخرج معك ليحسبني الناس...

وتوقفت عن الكلام، فأكمل الجملة لها قائلاً:

- بنت هوى. ولماذا لا؟ فحتى الآن لم أقتنع بعرضي لك... اما هذا الفستان فيجب ان ترتديه وتخرجي معي لتناول طعام العشاء.

وقبل ان تدرك ماذا نوى ان يفعل، انتزعها عن الكرسي وأوقفها على قدميها وحاول ان يلبسها الفستان عنوة. فاستولى عليها الرعب وأخذت تقاوم بيديها ورجليها، والفستان يلتف حول رأسها ويدخل بعضه في فمها كالكمامة. وفجأة زال الرعب كما ابتدأ، لأن جايسون تمكن، في آخر الامر، من ادخال رأسها في الفستان وانزاله على امتداد قامتها. وحين توقفت عن المقاومة أفلت يديها فأمسكت بحافة السرير لأنها شعرت بأن عزيمتها تخور ولا تستطيع الوقوف على قدميها.

وسند جايسون الفستان بيديه، فكان يعلق، عند ملامسة بشرتها الغضة حول عنقها، نزولاً الى خصرها، وحولت وجهها عنه وهي تعض على شفتيها في محاولة لضبط أعصابها.

وبعد حين ابتعد عنها وأخذ يتأملها معجباً وقال:

- شيء رائع... كانكون في الواقع مكان له مستقبل باهر. ففيها حوانيت تحتوي على أحدث الأزياء التي تجذب السائح...

وتوقف عن الكلام ونظر اليها قائلاً:

- ماذا بك؟ هل انت مريضة؟

ورفع يده فتراجعت بخوف غريزي وهي تصيح:

- بربك دعني وشأني... لا تفعل!

- لا افعل ماذا؟

- لا توجعني... ارجوك لا توجعني، أنا لا أقدر ان اتحمل اكثر مما تحملت.

- اوجعك؟ كيف تقولين ذلك؟ أنا لست مرلاء، بل لي ككل رجل عادي قوتي الخاصة.

وساد الصمت. وفي هذه الأثناء تمكنت ان ترفع رأسها وتنظر اليه يبتسم ابتسامة تنم عن التهكم والسخرية، ولكنها لحسن الحظ خلت من العنف.

وقال لها متابعاً كلامه:

- لست بحاجة الى الشعور بالندم.

الندم؟ وماذا كان يقصد بهذه الكلمة؟ لكنها لم تشأ ان تسأله لئلا تجعل من نفسها اضحوكة اكثر مما فعلت حتى الآن.

ثم سمعته يقول لها بنبرة صارمة:

- كفى. دعينا نضع حداً لهذه الهزلة... انا جائع. فاكملي ما بدأت به قبل دخولي الغرفة، ثم نخرج لتناول طعام العشاء بعد ان أبدل ثيابي.

ورفع احدى الحقائب ووضعها على السرير، ثم فتحها ونزع قميصه.

وجلست سارة على المقعد امام المرآة وحولت وجهها عنه، حتى لا ترى جسمه البرونزي المفتول العضلات... [illegible] تخفق [illegible] كرقة فعل امام رجل بغير قميص [illegible] التي كانت ترى اجسام الرجال حول برك السباحة أيا كان.

ورفعت أصبع الحمرة الى شفتيها بأنامل مرتجفة وانحنت صوب المرآة، ولما رأت انعكاس صورته، قالت بصوت خافت:

- هل عرفت اين تقع غرفتي؟ فانا اريد ان اذهب اليها في الحال.

فالتقت نظراتهما في المرآة وهو يحييها قائلاً:

- كلا. لم افكر في هذا الامر بعد. كنت مشغولاً بامور اخرى طيلة هذا النهار.

ولمحت بوضوح كيف ضاقت عيناه وزمت شفتاه قبل ان يقول لها:

- لماذا تدعين الحياء كأنك لم تري رجلاً من قبل؟

- هذه هي الحقيقة، ولكنك قررت الا تصدق كلامي.

فابتسم وقال:

- الحق معك... انا لا اصدق ما تدعين.

وبدا لسارة أنه اخذ يفقد اهتمامه بهذا الموضوع، لانه غيره بقوله:

- يا الهي، ما هذا الحر الشديد؟ ولماذا لا أستحم؟ هناك حمام قريب في الممر، فهل علمت به؟

وتناول منشفة واتجه صوب الباب، وقبل ان يخرج قال لها:

- لا شك انك تحدين هذا الفندق على شيء من البدائية. ذلك لانه الشيء في الاكثر لرجال الاعمال لا للسياح، ولكنني لم اكن اتوقع ان اصطحب معي سيدة حين حجزت هذه الغرفة.

وخرج من الغرفة واغلق الباب تاركاً اياها تفهم من كلامه ما تريد ان تفهم.

وكان ما تمكنت ان تفهمه من الفداحة في نظرها الى درجة شعرت فيها بألم شديد يسري في عروقها.

وجلست دونما حراك امام المرآة، تحدق في عينيها الواسعتين المرتعبتين اللتين انعكس لونهما البنفسجي في الظلال تحتهما. اذن، كان جايسون ثابت بعتبرها من جد فتاة هوى تتمنى حياة الترف وفنون العشق. وبما انه فقد اخاه ولامها على فقدانه، فانه عزم على استخدامها عن قصد وعمد للتخفيف عن الالم الذي يشعر به كما قال، فهو سيعاملها بلا مبالاة كمن يتناول مخدراً ليفقده كل حساسية.

ورأت ان تتعمق في التفكير، فخطر لها ان تحاول اقناعه بان ما يتصوره بشأنها غير صحيح تماماً. فهي، عدا كونها ليست من النوع الذي يمكن اعتباره كالمخلص، فتاة بريئة، ساذجة، تجهل تماماً فن الحب والغرام. وخطر لها ايضاً ان من الضرورة ضبط عواطفها الى اقصى حد، ووضع حد للمهزلة على حد تعبيره، كما ان من الضرورة كذلك ان تلزم جانب الهدوء والتعقل، فتبذل جهدها لاقناعه

بتصديقها، وفوق ذلك كله يجب عليها ان لا تتغلب على امرها رجولته الطاغية كما أوصتها الطبيبة مكتاب.

وبعد ان وضعت بعض الحمرة على شفتيها كلمسة اخيرة، عاد جابسون الى الغرفة فوجدها تسرح شعرها الذهبي الناعم كالحرير. وسألها قائلا:

- هل انت مستعدة؟

وعندما اجابت بالايجاب قال لها وهو يتقدم نحوها:

- ولكنك لم تشدي زنار فستانك بعد. لا تتحركي. دعيني اشده لك.

ولم تقم بأية ردة فعل حين شعرت بيديه تلامسان ظهرها وعنقها بخفة. وعندما تراجع عنها تلاقت عيناهما في المرآة. كانت نظراتها تائهة شاردة، ونظراته ساخرة.

- هذه دفعة على الحساب!

قال ذلك وانحنى ليدخل ذراعيه في كمي قميصه وراقبها في المرآة، ثم استدارت نحوه على المقعد وقالت له بعصبية:

- جابسون، عندي ما [illegible] انا اعلم رأيك فيّ، ولكن أريدك ان تتأكد من أن رأيك هذا خاطئ، من الاساس...

- رأيي فيك؟ انا لا رأي لي فيك على الاطلاق. فانت لست من النساء اللواتي يحرصن على ان يكون للرجال رأياً فيهن. انظري الى نفسك...

وهجم عليها وادارها بعنف نحو المرآة وردد قائلا:

- انظري الى نفسك، يا فتاتي الضالة المسكينة. لك شعر كشعاع الشمس، وعينان كالبنفسجة الندية، وبشرة كأوراق الورد، وفم...

ونظر الى فمها نظرة جعلته يغني عن وصف، ثم تابع كلامه بازدراء ما بعده ازدراء، فقال:

- أي رجل له عينان في رأسه واحساس يستطيع ان يقاوم الجمال؟

اخي تيم المسكين لم يستطع، فعرض عليك الزواج... كما سوراتو، صديق زوج امك، فلم يفعل. الم يكن هذا هو واقع الحال؟ اجيبي...

وكان، وهو يقول هذا الكلام، يغرز يديه في كتفيها فصاحت قائلة:

- لا، لا، لم يكن هذا واقع الحال ابداً... انت مختلف في ذهنك!

- لست بحاجة لي ان اختلق شيئاً... رأيت كل ذلك بعيني الاثنتين. رأيتك تذهبين الى قصر سوراتو ذلك المساء وانت على أتم الاستعداد لانزال الضربة القاضية، فيما زوج امك يسيل لعابه لمجرد التفكير بأن ذلك الرجل الذي [illegible] صهره!

- لم يكن الامر كذلك على الاطلاق... هذا غير صحيح.

و[illegible] كلامه وكأنه لم يسمع احتجاجها، فقال:

ولكن كارلوس سوراتو لم يقع في الفخ، فهو عصفور داهية لا يمكن ان ينطلي عليه ما كان يظهره له رجل تعاب بتمويه فتاة رائعة الجمال مثلك. فالزواج ليس من غاياته، وما دفعه مقابل التمتع بجمالك لم يكن كافيا لايفاء الدين الذي يرزح تحته زوج امك!

وهنا لم تعد سارة تستطيع الاحتمال، فاستجمعت قواها وافلتت منه وعبرت الغرفة الى الجهة الاخرى حيث جعلت السرير حاجزاً بينها وبينه، وصاحت به:

- كيف تتجرأ على سرد مثل هذه الاكاذيب؟ أنت لا تعرف شيئاً عني ولا عن رالف... خيالك المريض هو الذي يبتدع مثل هذه الاوهام!

ووقف جابسون يتأملها وشعره الاسود يغطي جانباً من جبينه الاسمر، ثم قال وقد اخذ الغضب منه كل مأخذ:

- انا لا اعرف شيئاً؟

فصمدت في وجهه واصرت على القول:

- نعم، انت لا تعرف شيئاً عني ولا عن رالف!

فأجاب بوجه متجهم:

- الواقع اني اعرف بعض الاشياء عن رالف. ومنها ان احد اصدقائي وقع في حبائله، منذ سنة او سنتين، حين كنت انا واياه مقيمين في اليونان. ولكنه نجا باعجوبة من تهمة قتل كان براء منها، وحكم عليه بتهمة الافلاس المزور، والى الآن لم يستطع ان ينهض من وطأة ذلك الحكم. وبعد البحث والتحقيق في هذا الامر تبين لنا ان رالف فرنسيس رجل دجال يستحق الكره واللعنة.

وفكرت سارة في نفسها ان ما يرويه جايسون له طعم الصدق، ذلك انها تذكرت كيف كان رالف دائم التنقل من مكان الى آخر، فجأة بدون سابق انذار. ولكن كيف كان لها ان تشك في امره؟!

وتابع جايسون كلامه بقساوة:

- في البدء كان رالف يصرف بعرقه، ثم اضافك الى صندوق مؤهلاته. وكان محظوظاً في ذلك، لما تتحلين به من مؤهلات... وحين رأيتك مع اخي تيم، ماذا تريدينني ان افعل، غير انقاذ اخي من براثنك؟!

وهنا احتلت شفتا سارة رعشة... كيف لها ان تخبره بالامر على حقيقته وتحمله على تصديقها؟ الذي قاله عن رالف ممكناً، واما البقية فكانت افتراء بافتراء. ولما ترجته ان يستمع الى كلامها، راح يذرع الغرفة بخطى واسعة ويقول:

- هناك شيء واحد يمكنك ان تخبريني به، وكل شيء آخر هو خارج عن الموضوع. اخبريني هل كنت مغرمة باخي تيم حين تزوجته؟

قال ذلك ووضع كفه تحت ذقنها ورفع وجهها الى موازاة وجهه، ثم اضاف قائلاً:

- انظري اليّ واحلفي انك كنت مغرمة به. ومن عينيك استطيع ان اعرف اذا كنت تخبريني الحقيقة ام لا!

ونظرت الى عينيه وحاولت ان تتكلم فخانها الكلام. كيف لا

وهي لم تكن معتادة على الكذب.

ودفعها جايسون عنه، فوقعت على السرير وهي تغطي وجهها بيديها. ثم استدار ومشى نحو النافذة واخذ يتطلع الى الخارج. وبعد صمت طويل، رجع ووقف امامها وهو يحملق فيها ويقول:

- دعينا من هذه المسرحية... ما فات فات. علينا ان ننقل الماضي ونواجه الواقع كما هو في الحاضر. ولذلك عزمت ان ابقيك تحت رقابتي الى ان ننتهي من حل المسائل الاخرى.

فنفذ كلامه الواقعي الى اعصابها كالسهم، فرفعت رأسها وهي في منتهى البؤس وسألته قائلة:

- اية مسائل؟

- هذه وتلك... [illegible] الوقت وانا جائع واريد ان اتناول [illegible].

فتأوهت وحاولت النهوض وهي تفكر ان الندم لا يوصل الى نتيجة. لا شيء تستطيع ان تعمله يمكن ان يمحو الماضي او يعيد تيم الى الحياة... ولا شيء في وسعها الآن تقوله لهذا الرجل العنيد يمكن ان يقنعه... ان تصوره عن الوضع الذي هي فيه ليس التصور الحقيقي.

وفتح الباب وناداها قائلاً:

- هيا بنا يا سارة!

ومرة اخرى شعرت ان اسمها على شفتيه يجمد الدم في عروقها، فالذي جرى بينهما في تلك الرحلة قلب الامور على نحو عجيب غريب. فلأول مرة في حياتها لمحت بصيصاً من نور الحقيقة وهو ان الكلام القاسي المتبادل بين رجل وامرأة يحتوي على مودة خفية.

وتناولت حذاءها القرمزي الذي اشتراه لها في مكسيكو، فلبسته ومشت تتبعه الى خارج الغرفة.

وقاد جايسون سارة برفق الى التاكسي واصعدها ثم جلس الى جانبها. وبعد ان اصدر امره الى السائق اسند ظهره وقال لها:

ـ كيف حالك الآن؟

ـ بخير، شكراً.

قالت ذلك بنبرة جافة وهي تفكر انه الآن، بعد ان خرجا من الفندق، يحاول ان يعاملها كضيفة له على العشاء، لا كمدير لدود. وشعرت، على نحو ما، انها تفضل لو بقي عدواً. ذلك انه اذا اراد ان يمارس سحر رجولته عليها، فقد ينزع منها سلاح بغضها وكرهها له.

ونظرت اليه وتساءلت ماذا ترى سيحدث بينهما قبل ان ينقضي ذلك الليل؟ الى أي حد كان ينوي ان يستوفي منها ثمن ما فعله. نعم، ستكون بحاجة الى كل قوة وارادة للوقوف في وجهه.

وتعمدت ان يكون صوتها بارداً حين سألته:

ـ اين سنتناول العشاء؟

فاجابها بشيء من الازدراء:

ـ سنذهب الى الجانب الآخر من الخليج، حيث يوجد في مثل هذا الوقت كل ما في الحياة الليلية الصاخبة من تألق وبريق، وليس عبثاً ان سكان البلاد الاصليين سموا هذا المكان «كانكون» اي «بوتقة الذهب» وانا انما حضرت الى هنا لاجمع بعض الذهب!

فسألته قائلة:

ـ لتبيع سفنك؟

ـ سفني وبعض الادوات. كنت احسب انك تعرفين كل شيء عن نشاطنا التجاري ووضعنا المالي.

ـ كلا. لماذا كان علي ان اعرف ذلك؟

فلم يجب جايسون عن ذلك بل نظر اليها مليأ وقال:

ـ دعينا من هذا الموضوع. انتبهي، فنحن الآن نجتاز الحي السياحي... اليس هذا المكان رائعاً حقاً؟

فاومأت بالايجاب. وبالرغم من كل شيء، شعرت ان صحتها اخذت تنشط امام بهاء ذلك المساء، ومشهد الفنادق الفخمة،

والحدائق الغناء، واشجار النخيل، وما كان يتجلى للعين وراء الشاطىء من زرقة البحر الصافية التي تفوق الوصف. ومع ان حر النهار تراجع مع نور الشمس، إلا انه ظل يشيع الدفء في الاجواء، حتى ان البعض احتفظ بثوب السباحة، فيما آخرون ارتدوا لباس السهرة وراحوا يتمشون حول المسبح وبين اشجار الحديقة وازهارها.

وقالت سارة مبتسمة:

ـ انه منتجع رائع!

فانحنى جايسون الى الامام قليلا ووضع يده على خصرها قائلا:

ـ رائع حقاً.

وشعرت ان الدماء اخذت تجري حارة في عروقها، ولما نظرت اليه تلاقت نظراتهما.

وكانت كل النصائح التي اسديت اليها في المدرسة حذرتها من القبول بذلك النوع من المغازلة، ولكنها لم تشأ ان ترفض ما قد لا يعني، في نظرها، الا يكون اشارة صداقة بين رجل وامرأة. اضف الى ذلك انه حين ترك يده حيث وضعها، احست بعجز يتسلل الى مفاصلها، بحيث لو انها ارادت ان تتحرك للابتعاد عنه لما استطاعت.

وقالت له بتردد:

ـ هل غيرت رأيك فيّ؟

فاجابها وقد رفع احد حاجبيه:

ـ لنقل انني ربما كنت متسرعاً بعض الشيء في حكمي عليك!

ولم يكن هذا مشجعاً، غير انه كان خالياً من الغضب والغضب، وهو امر اعتبرته سارة تقدماً.

ووقفت السيارة أمام المطعم، فساعدها جايسون على النزول، ثم وضع يده تحت مرفقها وسار بها الى الداخل، وشعرت سارة بالراحة لأول مرة منذ زمن طويل.

وكان الطريق الى داخل المطعم يمر في حديقة متشابكة، نثرت في انحائها الطاولات الصغيرة ومعظمها خال لأن الليل كان في أوله. وما ان اقتربا من المطعم حتى فاحت منه رائحة قوية شاعت بين الاشجار في الخارج.

فسرّ ذلك سارة، فاستوقفت جايسون تسأله قائلة:

- ما هذه الرائحة؟

فاجابها بهدوء وهو يتخطى يدها بيده:

- بخور، يعتبره السكان الاصليون، نذيراً للأحاسيس . . .

وتناول يدها ووضعها تحت ذراعه وضغط عليها قليلاً، فشعرت بدفء جسمه من خلال قميصه الحريري الرقيق.

وقال لها:

- هذه الانحاء كانت ادغالاً منذ مدة ليست بعيدة. فمن يدري كم من الأسرار اكتشفت حين جرى تمدينها؟

فبادرته الى القول:

- دعنا ندخل!

فضحك وقال لها بسخرية:

- لا تجعل خيالك يشرد بك بعيداً . . فأنت في أمان بصحبتي.

فتساءلت هل هي بالفعل في أمان؟ داخل المطعم كان بارداً، والطاولات منتشرة هنا وهناك في الزوايا. فوقف جايسون يتطلع حواليه معجباً بالمكان.

وحين جاء الخادم وقادهما الى احدى الطاولات قال لها:

- يجب ان اهنىء صديقي رامون مانديز الرجل الذي التقيته اليوم بعد الظهر كما تعلمين، على انجاح هذا المشروع السياحي بادارته الحكيمة. انه هو الذي نصحني ان اتناول طعام العشاء هنا.

وجالت سارة بنظرها في ارجاء المطعم، وهي تمعن النظر في اثاثه الذي كان يحتوي، في جملة ما يحتوي، على لوحية من الفخار الملون بالرسوم والستائر المعرقة بالالوان الحمراء والزرقاء والصفراء

والخضراء. وكان معلقاً في وسط الجدار البعيد قناع وحشي تحدث فيه عينان مرعبتان واسنان مخيفة تدل عليها شعر حيوان. وكان في اعلى رأسه وردة اضحكت جايسون فقال لها:

- احب المكسيكيين، فهم يميلون الى الدعابة والهزل للتخفيف من أثر ماضيهم الفظ الشرس.

واقترب الخادم، فقال جايسون لسارة:

- اظن ان الكركند هو الطعام الذي اشتهر به هذا المطعم، فما رأيك؟

- موافقة.

قالت ذلك وقد عادت اليها شهيتها كما في المدرسة. وكم تمنت لو كانت على علاقة حسنة مع جايسون لتظهر ابتهاجها في حرية تامة.

وأوصى على الطعام بالاسبانية، ثم بدأ الخادم يأتي به تباعاً. وكان جايسون يصف كل نوع منه وهو يأكل بشهية. ولم تكن سارة اقل شهية منه، ولكن اكثر ما ارتاحت اليه هو ان جايسون لم يتحدث عنها او عن علاقتها الحاضرة معه.

وعند الانتهاء انحنى الى الوراء وقال:

- هي التجربة!

ففوجئت بالكلمة وسألت:

- ماذا تعني؟

- أعنيك أنت بالطبع. فأنت التجربة المجسدة في هذا الثوب القرمزي الذي يبرز كل جمال فيك. ولا تقولي انك لم تلاحظي كم انظار الرجال مشدودة اليك!

ولم تكن لاحظت، فهي مشغلة البال بالرجل الجالس قبالتها الى حد حال بينها وبين الانتباه لأي شيء آخر. اما الآن فبعد ان قال لها ذلك الكلام، جالت بنظرها في المكان فرأت الطاولات كلها عامرة، وفي زاوية ما في الظل قيثارة ترسل انغاماً هادئة. وكان الضوء الخافت الحميم، والموسيقى الناعمة الحالمة، ورائحة البخور التي يمزج تحتها

نسيم المساء الناعم، يشيع في النفوس رغبة الغزل. فلا عجب، اذن، ان لا يتوقف جايسون لحظة واحدة عن مداعبة سارة بعينيه وصوته.

وأصيبت سارة بالدوار وتساءلت ماذا جرى حتى نتج هذا التغيير بينهما؟ كانت تدرك ان هنالك امراً يجب ان تنتبه له، ولكنها في تلك اللحظة لم تكن معنية الا بالعينين اللتين كانتا تنفذان بنظراتهما الى أعماقها. كان ذلك يهددها بالخطر، ولكنه كان ايضاً يثير فيها البهجة والافتتان.

وأنقذها من الرد على ملاحظاته الاستفزازية نهوضه ليستقبل رجلاً مقبلاً نحو طاولتهما بقامته المديدة وشعره الأشيب المجعد فوق جبينه الواسع الداكن البشرة.

وتصافح الرجلان وهما يتبادلان التحية بالاسبانية. وأخذ الرجل الغريب ينظر الى سارة ثم نظر الى جايسون الذي قال لسارة:

- هذا هو السيد رامون مانتيز يا سارة، الذي اخبرتك عنه.

وتناول السيد مانتيز يدها التي مدتها اليه ورفعها الى شفتيه قائلاً بلباقة:

- كيف حالك يا سيدة نايت؟

فقال جايسون لسارة:

- اعذري رامون على انكليزيته الركيكة، فهو لا يزال مبتدئاً.

وتابع الرجلان حديثهما بالاسبانية، ثم ودع رامون وانصرف، فقال عنه جايسون:

- هو رجل فاضل ومضياف.. . اصر على ان نمضي الليلة في منزله، لأن الفندق - كما يقول - لا يليق بسيدة راقية مثلك، وذهب الآن ليحضر زوجته للاعتناء بك ريثما أمضي الى الفندق لجلب امتعتنا. وارتأى رامون ان يرينا الاستعراض الراقص هنا قبل مرافقتنا الى منزله.

فابتسمت سارة قائلة:

- فكرة حسنة.

وأحست بالارتياح لأنها تخلصت من تلك الغرفة في الفندق وخطر مشاركة جايسون لها فيها. فهي لم تكن تعرف على الاطلاق انه سيحجز لها غرفة لتنام فيها بمفردها. اما الآن، فالاقامة عند صديقه رامون تمنحها الأمان. لأن جايسون لا بد ان يكون حريصاً على حسن رأي عميله التجاري فيه.

وعاد السيد مانتيز الى طاولتهما ومعه زوجته، وهي امرأة أنيقة ترتدي ثوباً اسود اللون. وكان شعرها مجموعاً على قمة رأسها. فحيّت سارة وصافحتها بلطف وراحت تحدثها بالاسبانية، ولكن زوجها اشار اليها بالتوقف لأن سارة لا تعرف تلك اللغة.

وبعد أن تركهما الرجلان امسكت السيدة مانتيز بذراع سارة وسارت بها بين الطاولات الى شرفة واسعة باردة يظللها سقف من الخيزران. وكانت هناك جوقة موسيقية تعزف الحاناً اسبانية حالمة، بينما الساهرون يرقصون او يجلسون حول طاولاتهم. وكان الرجال مع نسائهم يقفون تباعاً من قاعة الطعام. اما جو الشرفة فكان مثيراً للأحاسيس.

وشعرت سارة بالارتياح، يساعدها على ذلك نجاتها من الخطر الذي توقعت انه ينتظرها عند العودة الى الفندق. وحين جاءها الخادم بإشارة من رفيقتها يحمل لها كوباً من الشراب البارد احست وهي تتجرعه انها في منتهى السرور.

وبعد حين عاد الرجلان، ثم ابتدأت حفلة الرقص على المسرح، فاختلط الحابل بالنابل وتزايد التأثير على احاسيس سارة.

وسمعت صوت جايسون يقول لها:

- تعالي نرقص!

فأنهضها وسار بها الى حلبة الرقص وضمها اليه بشدة وهو يراقصها. وسرها ذلك وبعث البهجة في نفسها. وبغير انتباه تجاوبت معه، فالتصقت به وألقت برأسها على قميصه الحريري الناعم تتمتع

بلطف وتستمع الى دقات قلبه. ووضع جايسون خده على شعر رأسها، فأغمضت عينيها ونسيت ان الذي يغمرها كان جايسون نايت.

ومال جايسون برأسه الى ان جعل خده على خدها.

وأحست سارة بنشوة لم تعهدها من قبل، ولم تكن على وعي تام حين ألقت يدها حول عنقه. ولكن الموسيقى توقفت فجأة فأفلتها من بين يديه وفيما هو يعود بها الى الطاولة، كانت السيدة مانديز تصفق بيديها اعجاباً وتبتسم ابتسامتها المشرقة المعهودة. واستولى الندم على سارة لما صدر منها نحو جايسون لأنها خشيت ان يكون أخبر مانديز وزوجته بعلاقتها مع تيم وحادثة مصرعه، وها هي مع ذلك تغازل أخاه ولم يمض على ذلك الا وقت قصير.

واتسعت ابتسامة السيدة مانديز وهي تخاطب جايسون بالاسبانية عند رجوعه الى الطاولة، حيث وقف والى جانبه سارة، على نحو يوحي بصلة حب عميق فيما بينهما.

وتطلعت سارة الى جايسون وهمست في أذنه تسأله:

- ماذا تقول السيدة؟

ونظر اليها قائلاً بلهجته الساخرة المعهودة:

- تقول انها مسرورة جداً ان ترى عريسين مثلنا على هذه الحال من الغرام الشديد... ولكن يبدو ان هنالك سوء تفاهم من جهتها!

فاعترتها هزة من الغيظ، ولكنها كتمت شعورها لئلا يلاحظ مانديز وزوجته وقالت بصوت متوتر خافت:

- أخبرهم بالحقيقة... يجب ان يفهما

فقاطعها قائلاً:

- المسألة معقدة... لك ان تخبريها انت اذا شئت.

وازدادت سارة غيظاً، حتى ان احساسها بالأمان والاطمئنان وهي بين ذراعيه في حلبة الرقص تلاشى كالحلم

ونهض رامون، فتحدث الى جايسون الذي أمسك بذراع سارة

وهو يقول:

- هيا بنا يا سيدة نايت... لا يمكنك ان تفعلي شيئاً الآن غير اثارة فضيحة لا تؤدي بك الى أية نتيجة مرغوبة.

فتسلقت الى وجهه القاسي وشعور الغضب يزيد في خفقان قلبها. وعزمت بينها وبين نفسها على ان تقتص من جايسون يوماً من الأيام.

ولكن ذلك اليوم لم يكن ليأتي قريباً... والى ان يأتي كان عليها، على الأقل، ان تقضي الليلة بسلام.

٥- الليل شاهد على الآلام

استمرت سارة في شعورها بأنها تلعب دوراً في مسرحية لا معقولة، او لعلها لم تكن مسرحية على الاطلاق، بل اشبه ما تكون بفيلم من انتاج هوليوود. اذ كان كل شيء فخماً فاخراً. السيارة التي اقلتها، هي وجايسون، عبر الكورنيش الذي اصطفت على احد جانبيه الأشجار، وكذلك منزل مانديز القائم وسط حديقة عامرة بالورود والأزاهير وما الى ذلك مما نشر الشذى على أجنحة النسيم في تلك الليلة الساحرة.

وكان المنزل في الداخل يعكس روعة الخارج، ولكن سارة لم تكن آنذاك قادرة على استيعاب التفاصيل، فغرقت في مقعد وثير دعتها اليه السيدة ماندير وانتظرت ما سيحدث لها بشيء من الاستسلام.

وجاء الخادم بابريق من القهوة على طبق من الفضة ووضعه على طاولة امام السيدة ماندير، فأشارت الى سارة تسألها اذا كانت تفضل القهوة صافية ام ممزوجة بقليل من الحليب. وقبل ان تجيب بأنها تفضل قهوتها صافية نظرت الى جايسون وكان واقفاً مع السيد ماندير بعيداً في طرف الغرفة المستطيلة يبدي اعجابه بلوحة زيتية معلقة على الحائط.

ونادتها السيدة ماندير، واقبلا نحو السيدتين. وجلس جايسون بقرب سارة ومدّ ذراعه فوق مسند مقعدها وانحنى نحوها مبتسماً، وحاول مداعبتها فقالت له بهمس:

- اكرهك.

فقهقه ضاحكاً بهدوء. وفي هذه الأثناء كانت السيدة ماندير ترمقها بنظرات تنم عن الاعجاب بعاشقين في مطلع زواجهما السعيد.

وفكرت سارة ان الحالة تبعث على الجنون. فهناك ماندير وزوجته في جهة، وهي في جهة أخرى، وجايسون في الوسط يلعب دور المراوغ والمضلل ما شاء له اللعب، فتمنت لو انها تستطيع ان تفعل شيئاً، كأن تخبر السيدة ماندير بأنها تريد غرفة نوم لها وحدها الليلة. ولكن كيف تفسر لها طلبها هذا، وخاتم الزواج الذهبي يلمع في اصبعها؟

وشعرت بالتعب. وحين ألقت رأسها على المسند الناعم وراءها أحست بأصابع جايسون تمتد وترفع شعرها لتداعب عنقها، ففوجئت وارتجفت بعنف حتى اندلق بعض القهوة على صحن فنجانها فأخذ جايسون الفنجان والصحن من يدها قائلاً:

- لا تبالي يا حبيبتي!

ومشى الى الطاولة، فيما هرعت السيدة ماندير لتسكب لسارة فنجاناً آخر. وكانت وهي تفعل ذلك تتحدث الى جايسون وترسل نظراتها في اتجاه سارة.

وحمل جايسون فنجان القهوة الى سارة وجلس في مكانه قربها قائلاً لها:

- مضيفتنا تظن انك تعبة، فربما تريدين ان تذهبي الى فراشك... فوافقتها على ظنها هذا.

ثم أضاف ببراءة ما بعدها براءة:

- سأخلك الى غرفتنا، عندما تنتهي من شرب قهوتك. اما انا فلي حديث قصير مع رامون، قبل ان ألحق بك.

ودون ان ينظر اليها، نهض وسار الى حيث جلس رامون وجرعت سارة قهوتها بسرعة، وحاولت ان تلاحظ ان يدها كانت

ترتجف. وانتقلت السيدة مانديز من مكانها الى المكان الذي كان جايسون جالساً فيه. وطوقت خصر سارة بذراعها وتمتمت كلاماً رقيقاً، ثم سارت بها الى غرفة واسعة ذات نوافذ مطلة على الشرفة. وكان أثاث الغرفة فاخراً كسائر أثاث المنزل، ولكن الشيء الوحيد الذي استرعى انتباهها هو السرير المزدوج الضخم بغطائه المخملي.

وأمسكتها السيدة مانديز بذراعها وأخذت تطوف بها في ارجاء الغرفة لتريها مواضع الأشياء. ثم فتحت احد الأبواب، فاذا هو باب غرفة للحمام قل مثيلها في الروعة والذوق السليم.

وبعدما خرجت السيدة مانديز من الغرفة وبقيت سارة وحدها، طافت في الغرفة الواسعة وركزت نظرها بالطبع، على الفراش الذي دعته السيدة مانديز «فراش الزوجية»، ولكنها لم تكن متزوجة بالرجل الذي سيأتي لمشاركتها فيه بعد حين. ولم تكن تشك ابداً في نواياه، لأنه هو الذي أعلنها وصرح بها. وبدا كل عصب في جسمها يرتجف من التوتر، حتى كادت لا تقوى على التنفس. فخرجت الى الشرفة الضيقة ووقفت تنظر الى الأشجار. كان المنزل محاطاً بالحدائق ولكنها استطاعت ان ترى من خلال الأغصان أضواء المدينة تشع في الظلام. وكان تحتها في الحديقة بريق براق تعكسه مياه البركة، فأمكنها ان ترى قليلاً مما يحيط حولها. وقبضت سارة بأصابعها على قضبان حديد الشرفة وقد خطرت ببالها فكرة جهنمية، وهي ان تقفز الى البركة لتخفف ثقل السقوط، ثم تسرع نحو الطريق، وتوقف سيارة اجرة، على امل ان يكون سائقها مواطناً اميركياً يستطيع نجدتها.

وتنفست بصعوبة ورفعت احدى قدميها ووضعتها على حاجز الشرفة. وقبل ان تهم بالقفز جاءها صوت جايسون يقول:

- هل تحاولين الهرب؟ لو كنت مكانك لما فعلت ذلك. فأنت لو نجوت من السقوط، فانك لن تنجحي من قبضة البوليس، حيث يصعب علي النجاح في حملهم على اخلاء سبيلك. فالأفضل لك ان تنتظري قدوم عزيزك رالف لانقاذك...

وكانت تلهث خوفاً حين وضع يده على ذراعها وجذبها الى غرفة النوم، حيث ألقاها على المقعد الوثير قرب النافذة وجلس بعنف الى جانبها. فتراجعت الى زاوية المقعد وهي ترتجف وقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها.

وساد الصمت طويلاً، ثم نظر اليها وقال:

- كفاك... لا تلعبي معي دور الفتاة المحتشمة... لا وقت لذلك، فنحن في ساعة متأخرة من الليل.

فأجابت بصوت متقطع:

- لا... لا أفهم ما تقول!

فقهقه ضاحكاً وقال:

- لا تزعمي انك نسيت ما عرضته علي في مطلع السهرة، حين كنت مستلقية على الفراش في الفندق وتحدقين الي بعينيك الساحرتين وتقولين: جايسون، ألا نستطيع ان نكون صديقين!

وقلد صوتها بامتعاض وتابع قائلاً:

- ان نكون صديقين؟ أعرف نوعاً واحداً من الصداقة مع فتاة مثلك.

والتفت نحوها واضعاً ذراعه على كتفيها، ثم دفعها على المقعد وقال غاضباً:

- كنت أبغضك كثيراً في البداية، ثم قلت لنفسي فيما بعد: لماذا لا اغتنم الفرصة وآخذ منك كل ما استطيع ان آخذه؟ ومهما أخذت لن يكون الا دفعة زهيدة مما يجب ان تدفعيه مقابل ما أخذته انت مني.

فأجابت بشفتين مرتجفتين:

- كل ما أردته هو ان نكون صديقين لا أكثر ولا أقل... فأرجوك يا جايسون...

- هيا، انهضي!

وأوقفها على قدميها بعنف، فسقط الثوب حول كاحليها على

الأرض. وعندئذ استجمعت قواها وصاحت به:

- كيف تجرأ ان تفعل هذا؟ أتحسبني دمية بين يديك؟

- نعم، أنت دمية، ألا توافقين؟

وراح يجيل بنظراته عليها وهي ترتجف حياء ونقمة. وتلفتت حولها لعلها تجد مهرباً، فرأت غرفة الحمّام مفتوحة. وخطرت لها فكرة تمنحها بعض الوقت للتفكير، فقالت:

- دعني استحم... ارجوك!

وكم كان حزنها شديداً حين ضحك جايسون قائلاً:

- لا اعتراض لي على ذلك. ولكن اعلمي ان ذلك لا يؤثر ويغير في قليل او كثير!

فالتقطت ثوبها عن الأرض ورمته به، وبما حاول الاندفاع نحوها كانت وصلت الى غرفة الحمام وأغلقت الباب وراءها.

وفي غرفة الحمام اسندت ظهرها الى الباب وأخذت تلهث بشدة، وتوقعت ان يدفع الباب محاولاً الدخول، الا انه لم يفعل. وبعد [illegible] دخلت حوض الاستحمام، ثم فتحت حنفية الماء الى ان كاد يمتلئ، فاستلقت فيه وراحت تفكر [illegible] سبل اقناعه بحقيقة حالها. الا انها لم تستطع التوصل الى نتيجة لاعتقادها ان جايسون نايت لم يكن مستعداً لتصديقها، مهما كانت الحجج والبراهين.

وخرجت من حوض الحمام وأخذت تتأمل وجهها بعينين واسعتين مرتعبتين وهي تفكر ماذا سيحمل الغد اليها من أحداث.

وبعد ان جففت أخذت ترتدي لباسها الداخلي. وكان الثوب الجديد الذي ارتدته تلك الليلة متسخاً، فحارت قليلاً في ما تفعل ولم يكن معها سواه. وأخيراً ألقته في الحوض وأخذت تغسله، ثم أخرجته ونشرته على قائمة الحوض وفتحت الباب قليلاً ونظرت الى داخل الغرفة.

كان جايسون قد نزع قميصه وبنطاله ولبس رداء حريرياً رقيقاً واستلقى في الفراش مستسلماً للراحة وهو يحدق في السقف. وأدار

رأسه حين سمع باب غرفة الحمام يفتح وصوت سارة تقول له:

- ارجوك ان تعطيني بقية ملابسي، أعني الثوب الذي جئت به من الفندق.

نهض متكاسلاً واتجه نحوها وقال:

- لا تحتاجين الى ملابس هذه الليلة.

ووقف ينظر اليها ويتمتم قائلاً:

- ما هذا الجمال الرائع المثير!

واقترب منها فتراجعت الى غرفة الحمام، ولكنه فتح الباب على مصراعيه بيد، وطوق عنقها باليد الأخرى، وراح يداعب شعرها وهو يردد كلمات الاعجاب بمحاسنها.

وصاحت سارة محاولة التخلص منه:

- دعني... [illegible]

وفجأة أدركت افتقارها الى الخبرة في مثل هذه المواقف، على الرغم من انها قرأت كتباً عديدة في الموضوع وشاهدت أفلاماً كافية، الا ان ذلك كما بدا لها لا يحل تماماً محل الخبرة العملية والممارسة الفعلية.

- يجب ان تصغي الي يا جايسون. ما تطلبه مني لا استطيع ان أعطيك اياه. انت أسأت فهمي... فأنا لا أصلح لك لأني...

فقاطعها قائلاً:

- لماذا لا؟ واعلمي انه يستحيل عليك ان تفلتي من قبضتي الآن.

وحملها بين ذراعيه عبر الغرفة وألقاها على السرير الواسع العريض وقال:

- لا تتفوهي الآن بكلمة...

وخيل اليها انها تسمع صوتاً في داخلها يقول. لماذا لا؟ لماذا لا؟ قد أكون مدينة لك بذلك... ربما أنا ملامة على ما جرى لتيم...

وحين خطر ببالها تيم شعرت كأن قنبلة انفجرت في رأسها. وفجأة دفعت عنها جايسون صارخة:

- لا. لا. لا اريدك أنت... أريد تيم... تيم يجب ان يكون أول...

وتوقفت عن المقاومة واستسلمت الى البكاء. وتمكنت من ان تمد يدها وتسحب غطاء الفراش الحريري نحوها وتغطي نفسها.

وبعد حين، وقد سيطرت على اعصابها بعض الشيء، تجرأت على الالتفات نحوه فوجدته جالساً الى حافة السرير وظهره اليها ورأسه بين كفيه. كان في حالة استسلام يبعث في نفسها الكآبة فهمست قائلة:

- أنا آسفة... أرجوك ان تعذرني!

فلم يلتفت اليها وهو يقول:

- ربحت. لا بأس، فأنا، على ما يبدو، لست وغداً كما ظننت.

ونهض واقفاً وقال لها:

- تحتاجين قسطك من النوم... سأستحم وغداً نسافر الى انكلترا.

وبدون أن يرمقها بنظرة، سار الى غرفة الحمام وأغلق الباب وراءه.

واستلقت سارة وهي ترتجف من راسها حتى أخمص قدميها. واحست بانها لن تستطيع النوم، ولكنها سرعان ما احست بارتخاء في مفاصلها وبالنعاس يسترق على جفونها، حتى انها لم تجد القوة الكافية لارتداء ثوب النوم. وهكذا بقيت تحت الغطاء وقد استسلمت في زاوية من الفراش الى نوم عميق.

وطلع الصباح وأشرقت الشمس من خلال الستائر المعلقة على النوافذ المستطيلة، ففتحت سارة عينيها، وعلى الفور تذكرت كل ما جرى لها. فأحدقت الى السكينة التامة، حتى انها أخذت تتنفس بهدوء، لم أمالت رأسها خلسة لتستطيع ان ترى القسم الآخر من الفراش الواسع العريض، فاذا هو خال ولا أثر لأحد فيه.

ففوجئت بذلك وانتصبت جالسة في مكانها. وكان نسيم الصباح العليل يدخل من النافذة ويحرك الستائر فيبعث في شرايينها شيئاً من

البرودة. وأجالت بنظرها في انحاء الغرفة، فوجدتها خالية. وكان رداء جايسون الليلي ملقى على المقعد الخيزراني وحقيبته المفتوحة تحتل مكاناً على طاولة الزينة في آخر الغرفة. وكان باب الحمام مفتوحاً على مصراعيه ولا صوت يخرج منه.

وكانت الحقيبة اللماعة التي جلبها جايسون الى المستشفى مع ثيابها الجديدة موضوعة قرب الخزانة. وتنفست سارة بسرعة ونهضت من الفراش والتقطت الحقيبة وجرتها عبر الغرفة الى الحمام، وهناك اغتسلت بسرعة وارتدت لباسها الذي اخرجته من الحقيبة.

ونظرت الى وجهها في المرآة فتعجبت كيف ان لا اثر فيه للضيق الذي عانته في الليلة الفائتة، بل كانت عيناها اكثر صفاء وخداها موردين. وتناولت المشط وأخذت تسرح شعرها وتصففه على الشكل الذي يحبه والدها لأنه يظهرها كراهبات الباليه. وحين تذكرت ذلك سرى في جسمها تيار من القرف، فأعادت تصفيف شعرها على شكل آخر.

وأخذت شفتاها ترتجفان، اذ تذكرت تيم وكيف أنقذها من رالف. وظنت لو انه كان على قيد الحياة لجعلها سعيدة وتمنحه كل ما تتوق اليه نفسه.

واسترسلت في استعادة مثل هذه الذكريات، فخيم عليها جو من الحزن والأسى. ولكنها بعد حين تمكنت من العودة بذاكرتها الى الوضع الراهن الذي كانت فيه. فتذكرت انها لاتزال سجينة وهي في المكسيك مع جايسون، ولا أمل لها بالهروب منه. فلم يكن لديها مال، ولا كفاءة للقيام بأية وظيفة، ولا المام بالاسبانية. وتعزت حين تذكرت قول جايسون لها انه سيعود بها الى انكلترا، فلعله يصدق في ما قال. فلا بد من نهاية النفق المظلم مهما اشتد وطال.

وعزمت على ان تنسى ما جرى لها الليلة الفائتة. واقنعت نفسها، على نحو ما، ان ذلك لن يتكرر. فجايسون لا بد ان يتركها وشأنها من غير ان يحاول ان يثأر منها مرة أخرى.

وأدارت ظهرها الى المرآة بحركة عصبية وهي تمني النفس بأنها لا بد ان تنسى. فهي لن تدع نفسها تقع في غرام جايسون نايت مهما كلفها الأمر.

وسمعت باب غرفة النوم يفتح وصوته يناديها باسمها. ثم افتتح باب الحمام ايضاً، واذا جايسون بقامته الفارعة يقول بلهفة ظاهرة:

ـ انت هنا!

فما ان رأته سارة حتى اجتاحتها موجة من القلق والخوف، ولكنها تمالكت نفسها سريعاً وقالت له:

ـ صباح الخير.

ومشت خطوة الى الامام باتجاه غرفة النوم. غير ان جايسون لم يحد عن الباب، بل وقف في مكانه يبحث بنظراته عن وجهها، ثم قال:

ـ أراك غيرت شكل تصفيف شعرك. هذا يجعلك تظهرين أصغر سناً... اخبريني كم لك من العمر الآن؟

فأجابته ببرودة أعصاب:

ـ ثماني عشرة سنة.

وظنت لوهلة انها لمحت امارات الدهشة على وجهه، ولكنها توهمت، ذلك لانه سرعان ما هز كتفيه وتراجع الى الوراء ليخلي لها طريق الخروج من الباب.

وهنا دخل الخادم يحمل طبقاً عليه الفطور، فوضعه على الطاولة امام المقعد الخيزراني، ثم ابتسم لجايسون وهو واقف ينتظر أوامره. فصرفه مع الشكر وقال لسارة:

ـ هذا طعام الفطور، وعلينا ان لا نأكل منه كثيراً لأن رامون دعانا للرجوع بطائرته الى مدينة مكسيكو، حيث تقلنا سيارته الخصوصية الى المطار...

وجلست سارة على المقعد مبتعدة عنه ما أمكن، فلم يظهر عليه انه اعار ذلك أية اهمية. وأخذ يعدد لها ألوان الطعام ويقرب بعضها الى امامها، فكان في ذلك كأنه يعاملها كأخت له في سن المراهقة.

وارتاحت سارة للأمر، وتمنت لو انه يعتمد هذه المعاملة طيلة وجودها معه. وحرصت في هذه الأثناء ان لا تنظر اليه ولا تطيل الحديث معه.

وبعد الانتهاء من تناول طعام الفطور لم يطل بهما المقام في منزل مانديز. وكانت السيدة مانديز تشكو من الصداع فلزمت فراشها وتولى السيد مانديز وحده مهمة توديعهما وتقبل كلمات الشكر التي أغدقها عليه جايسون لحسن ضيافته. وابتسمت سارة في وجهه وحيته مودعة بالاسبانية، فأظهر اعجابه بأن قبلها على الوجنتين وهو يردد عبارات المديح. وفيما السيارة تبتعد بهما، قالت سارة:

ـ انه رجل لطيف المعشر... ماذا قال لك عني؟

نظر اليها وأجاب:

ـ قال انك فتاة رائعة الجمال ورفيعة التهذيب، وان خطوط [illegible] فهل هذا الكلام يسرك؟

فأجابت:

ـ كل ما خطر ببالي في شأنه، هو انه رجل لطيف المعشر!

وآلمها ان يخضها جايسون الى حد دفعه الى ان يجعل من ابسط ملاحظة تبديها سلاحاً يشهره ضدها.

وحول وجهه عنها بعدم اكتراث، فيما السيارة الفخمة تشق طريقها وسط الزحام نحو الجسر الذي اقيم فوق الخليج. ثم حدث نفسه قائلا بصوت مسموع:

ـ كانت زيارة ناجحة، ولو حالفني الحظ اكثر قليلا لكانت النتائج سعيدة جدا.

وكانت «النتائج» التي عناها هي، بالطبع، نتائج تجارية. ولكن سارة التي سمعت كلامه لم تتمالك من التفكير انها كانت هي ايضا جزءاً من تلك «النتائج» وخطر لها ان تتفحص وجهه، فنظرت اليه بامعان، فوجدت انه غارق في التأمل والتفكير. ثم أغمضت عينيها وهي تشعر بنشوة تسري في مفاصلها عندما تذكرت ان ذلك الوجه

الذي بدا لها صلباً قاسياً كان في الليلة الفائتة ينضح رقة وعذوبة وهو يلتصق بوجهها. وخطر لها فجأة، وبلمح البرق، انها تتمنى ان تعيش تلك اللحظة مرة أخرى بالفعل لا بمجرد الذكرى. نعم، تمنت ذلك وتاقت الى ان يأخذها بين ذراعيه ويضمها اليه.

ولما فتحت عينيها فوجئت به ينظر اليها، فصعد الاحمرار الى خديها وأخذت ترتجف، على الرغم من انه لم يمسها على الاطلاق

وقال لها بعصبية ظاهرة:

ـ استريحي يا سارة وهدئي من روعك، والا ظن من يرانا اني حيوان مفترس... فماذا يرعبك فيّ؟ وما حدث الليلة الفائتة كان سوء تفاهم! اذ اعتقدت انك وعدتني بالاستسلام اليّ طوعاً...

فاضطربت وقالت:

ـ انا لم أعدك بشيء، ولست مدينة لك بشيء!

فأجابها قائلاً:

ـ هذا رأيك انت.

وساد الصمت، فيما السيارة تقترب من المطار. ورأت سارة ان للسيارة، لحسن الحظ، حاجزاً يفصلها عن السائق، فلا يستطيع ان يسمع ما كان يدور بينهما من حديث.

وتابع جايسون كلامه قائلاً:

ـ وفي أي حال، ما دمت عازماً على ان أبقيك تحت رقابتي الى ان ينجلي الموقف، فالأفضل ان نتفق على خطة نسير عليها في سبيل الحصول على نوع من التفاهم!

فصاحت بمرارة:

ـ التفاهم؟ لم تبدأ حتى الآن بفهم أي شيء عني!

وتجاهل ملاحظتها وتابع قائلاً:

ـ قد يكون علينا ان نمضي يوماً او يومين في مدينة مكسيكو، قبل ان نستقل الطائرة الى انكلترا. واذا نزلنا هناك في فندق، فثقي انك ستنامين في غرفة بمفردك... فانا لن أضع يدي عليك مرة أخرى!

وتوقف عن الكلام قليلاً، ثم أضاف قائلاً:

ـ عليك ان تتحملي رفقتي ليوم او يومين آخرين... واعلمي اني لا أطيق رفقتك مثلما انت لا تطيقين رفقتي. ولكن علينا ان نتصرف كما لو كنا الأقارب الذين قضت عليهم الظروف ان يتلاقوا موقتاً لمواجهة أزمة حلت بهم. بعضهم يكره البعض الآخر، غير ان المصلحة المتبادلة اجبرتهم على عقد هدنة فيما بينهم. وما داموا معاً، فهم يتعاملون بتهذيب، متجنبين الخوض في المسائل الشخصية. وحين لا يكون احد حاضراً معهم، يقللون الكلام لأن ذلك خير لهم.

وأحنى رأسه وتطلع اليها قائلاً:

ـ ما رأيك بهذه الخطة؟

فأجابت:

ـ هذا ما كنت أتوقعه منك.

ـ وماذا توقعت مني غير ذلك؟

ـ لا شيء!

فابتسم جايسون بمرارة وقال:

ـ اذن اتفقنا. ولكن عليّ ان أضيف الى ذلك انك في مدينة مكسيكو تستطيعين ان تشتري كل ما تحتاجين اليه من ملابس، وسأرافقك عند شرائها لاني لا أريد ان أضع في يدك مالاً، ولا ان أدعك تغيبين عن نظري. واذا كان علينا ان نقضي ليلة في الفندق، فسيكون لك غرفة خاصة بك، ولكن تحت رقابتي. وحين نصل الى انكلترا سأسلمك الى عمتي فيما بانتظار حضور زوج امك المحترم!

فقالت له سارة:

ـ لن يحضر. أخبرتك انه لا علم له بما جرى، ولا بمكان وجودي، أو بأي شيء آخر عني.

فقال بسخرية:

ـ أصحيح هذا؟ سنرى. وكم ستكون دهشتي شديدة اذا لم يحضر

قريباً، وحين يحضر أريد ان اعرف تماما ماذا ينوي ان يفعل هو وأنت! وأظن انه سيحاول الحصول على حصتك من الارث دفعة واحدة بشيء من التسوية. ذلك لأني لا أعتقد انه من النوع الذي يشن حربا قانونية طويلة الأمد في سبيل تحصيل آخر درهم من حصة تيم في الشركة.

فتوهجت سارة بعمق وجزمت بينها وبين نفسها ان لا تتورط في جدل مالي لا تفهم فيه شيئاً. فهي لا تريد درهماً من ميراث تيم، وستبذل كل جهد لتمنع راف من الحصول هو ايضا على شيء منه، فيا اذا عاد الى اثبات وجوده في حياتها مرة أخرى.

فقالت لجايسون:

- عمتك، ماذا تعرف عن الموضوع؟

- لا تعرف الا القليل.

- مثلا؟

- هي لا تعرف سوى انك تزوجت أخي يوم وقع حادث اصطدام القطار، واني ساصطحبك معي حين عودتي.

وتلاقت نظراتهما عبر مقعد السيارة. وتساءلت سارة كيف ان هاتين العينين الجذابتين النافذتين لم تستطيعا حتى الآن ان تريا الحقيقة.

وقالت له:

- هل هذا كل ما أخبرت عمتك عنه؟ ولا شيء آخر.

- لا شيء آخر. فصحتها ليست على ما يرام، ومن الخير ان لا نثقل عليها بالتفاصيل المزعجة. وفي أية حال، ستكون لنفسها رأيا فيك، وسيكون، نظرا الى سحرك ودلالك، في صالحك. وبعد الانتهاء من تسوية الأمور، ستعودين ولا شك الى نشاطك المعتاد، وهو البحث عن فريسة جديدة!

وضاق صدر سارة من هذا الكلام، فأخذت نفساً طويلاً وقالت:

- أظن انك أقبح رجل لقيته في حياتي.

فأجاب وهو يستلقي الى الوراء ويخفض عينيه:

- حسناً. قولي ما تشائين.

liilas.com

٦ـ خائفة من شيء ما

وقال جايسون لسارة:

ـ القطار سيترك المحطة بعد عشرين دقيقة.

كان ذلك في محطة واترلو في لندن. ثم تابع كلامه قائلاً:

ـ عندي وقت كاف لاتكلم مع عمتي فيرا بالتلفون فأخبرها بأننا في الطريق اليها.

وسار الى اقرب جهاز للتلفون وقال لها:

ـ انتظري هنا يا سارة. لن أغيب اكثر من دقيقة او دقيقتين.

وانتظرت سارة قرب الحقائب. ففي اليومين الاخيرين تبعت جايسون باذعان، من كانكون الى مدينة مكسيكو، ومن مدينة مكسيكو الى ميامي الى مطار هيثرو، ومن مطار هيثرو الى محطة واترلو. وفي هذه الاثناء تركت لجايسون تدبير كل الامور، واطاعته في كل ما طلب منها، وشكرته كل الشكر حين وفى بوعوده فحجز لها غرفة في الفنادق التي نزلا بها. وكانت لا تكلمه الا حين يكلمها، وفي سائر الاحيان كانت تطالع المجلات التي يشتريها لها.

وبين الحين والآخر كانت تراقبه وهو يسترق النظر اليها مستغرباً كيف كان باستطاعتها ان تلعب ذلك الدور المزيف طوال تلك المدة بدون ان يبدر منها ما يفضحها على حقيقتها.

ولكن سارة لم تكن تلعب ذلك الدور بافتعال، بل كان من ضمن الخطة التي اتفقا عليها. فاذا كان جايسون يستطيع ان يلعب دوراً كما

في مسرحية، فهي أيضاً تستطيع ان تفعل ذلك. وكان نجاح الخطة يتوقف على اصطحاب جايسون لها عند عودته الى «دروسه» وبما ان الامر كان كذلك، فانها عزمت على جعل الرحلة هنيئة قدر الامكان.

وقالت لنفسها انها حين تسيطر على مجرى حياتها مرة ثانية فيما بعد، فسيتبدل كل شيء، وسيفاجأ جايسون بهذا التبديل.

لم يكن الازدحام بدأ بعد، وهي في مكانها تنتظر عودة جايسون. وكانت ترتدي بنطالاً أزرق اللون اشتراه لها جايسون في مدينة مكسيكو، فجعلها تبدو صبية ممشوقة القوام. وهذا، بالاضافة الى شعرها الذهبي المعقود حول وجهها الصغير المشرق، جذب اليها الانظار بدون ان تدري. ذلك لأنها كانت تجيل بنظراتها في انحاء المحطة ظاهرياً، ولكنها في الواقع كانت تراقب الرجل الذي يرتدي بزة رمادية ويقف في غرفة التلفون العمومية ممسكاً بيده السماعة المرفوعة الى اذنه. اما هو فكان يختلس النظر اليها بين الفينة والأخرى ليتأكد من انها لا تزال في مكانها.

كان بالفعل عازماً على ان لا يدعها تهرب منه. ومع انه وفى بوعوده فسمح لها بأن تنام وحدها في غرفة مستقلة، إلا انه كان يدخل الغرفة في الصباح ويقول لها بعد التحية:

ـ بين غرفتي وغرفتك باب. فبامكانك ان تعبري غرفتي حينما تخرج الى مكان ما.

كان لا يخفي عجبه من سهولة انقيادها اليه فجأة، ولكنه خشي ان يكون ذلك خدعة تخفي، وراءها حيلة ما للافلات من قبضته.

وفي احدى المرات أجابته على تساؤله بهذا الغموض فقالت:

ـ لماذا أحاول الهرب؟ اليس من مصلحتي ان ابقى معك الى ان احصل على ما سميتها «الغنيمة»؟ فلماذا اعترض على عبور غرفتك عندما أريد ان اخرج؟

ثم اضافت بجرأة لم تكن تعرف انها تملكها:

ـ ما دام هذا كل ما هو منتظر مني!

وألقت نظرة عبر الباب الى الفراش الذي في غرفتها.

فاستفزه هذا الكلام الى حد حمله على نزع قناع اللامبالاة الذي كان يلبسه وقال غاضباً:

- لا تقلقي... فأنا لن أقع في تلك الفخ ثانية...

فصدّقت كلامه، ولكنها مع ذلك لم تطبق جفونها تلك الليلة، بل بقيت مستيقظة تراقب الأنوار تنعكس على سقف الغرفة من السيارات التي تتوقف عن عبور الطريق الذي يمر تحت النافذة. ونحو الثانية صباحاً، حين لم تعد تطيق الاضطجاع في فراشها، نهضت وأخذت تذرع الغرفة بخطوات حائرة.

وتمنت لو أنه كان بوسعها ان تصلح الحال بينها وبينه، فلا يعود ينظر اليها بامتعاض ونقمة. وكانت على يقين بأنه لم يكن نائماً هو أيضاً، فلو كانت تملك الجرأة الكافية لدخلت الى غرفته وحملته على الاصغاء اليها لشرح دورها في الأحداث الفاجعة التي جرت في الاسبوع الفائت.

وأخذ قلبها يخفق بسرعة حين وضعت يدها على مقبض باب الغرفة، وسمعت صوتاً خافتاً في الداخل وصرير نوابض السرير. فتخيلته مضطجعاً هناك وشعره الأسود منتشر على المخدة، وجسمه ممدد تحت الغطاء.

وفجأة نزلت عليها الحقيقة كضربة قاسية، وهي ان رغبتها في التحدث اليه لشرح موقفها وتفسيره لم تكن سوى خدعة. فهي في الواقع أرادت ان تكون معه، وأن تلتصق به، وان تشعر بيديه تضمانها.

واستولى عليها شعور بالتعاسة، فتراجعت بخطى متعثرة الى فراشها وسترت رأسها بالغطاء.

وفي الصباح تذكرت ما حدث لها في منتصف الليل، فسرها ذلك لأنها كلها اكتشفت ما في دخيلة نفسها، قوي سلاحها ضد ما يعتريها من ضعف.

وأنهى جايسون مكالمته التلفونية وقفل راجعاً اليها. وفكرت وهي تتأمل قامته الفارعة المشوقة، انه رجل خطر ومن الخير لها ان تتجنب التورط في معاملته أو الوقوع في غرامه. ولاحت على ثغرها ابتسامة سرعان ما تلاشت حين وصل اليها وقال:

- دبّرت كل شيء... فرا ستُرسل من يستقبلنا في ويرهام فهي لا تقود السيارة بنفسها، ولذلك ستستأجر تاكسي. هيا بنا. ها هو القطار.

وحمل الحقائب واتجه معها نحو عربات الدرجة الأولى في القطار. وتوقف امام عربة وقال:

- هذه لا بأس بها.

وفتح الباب، فتبعته الى الداخل، وأخذ يبحث عن مكان مناسب.

وتلفتت حولها وتذكرت على حين غرة تلك الرحلة التي قامت بها مع تيم في القطار، فجمد الدم في عروقها. وشعرت بالدوار، فأمسكت بذراع جايسون لئلا تقع على الأرض.

فسألها:

- ما بك؟

وأعادتها نبرته الحازمة الى عالم الواقع، فأجابت:

- لا شيء... ظننت أن قدمي علقت بشيء ما.

- ادخلي اذن.

وللحظة ظنت انها لا تستطيع الدخول، وانها على وشك ان تتصرف كمن فقد رشده.

وكان جايسون ينتظر حائراً. وأخيراً تمالكت نفسها ودخلت العربة وارتمت على مقعد وهي تكاد تغيب عن الوعي.

ووضع جايسون الحقائب على الرف وجلس قبالتها. وفتح صفحات احدى الصحف التي اشتراها في المحطة وبدأ يطالعها، وسر سارة انه تجاهلها، لأن ذلك يمنحها الوقت للسلمة أفكارها

المبعثرة.

كان شهر اذار (مارس) عادة شهراً لا يزدحم فيه المسافرون، ولذلك فحين تحرك القطار لم يكن دخل أحد لمشاركتها الجلوس في العربة. والقت سارة رأسها الى الوراء واغمضت عينيها، على أمل ان تعود اليها رباطة جأشها بعد قليل. وتذكرت انها قرأت في مكان ما ان من يشعر بفقدان وعيه عليه ان يتنفس ببطء وعمق. وحاولت ان تفعل كذلك، إلاّ ان حالتها ازدادت سوءاً.

ففتحت عينيها ورأت ضواحي لندن من خلال النافذة، تماماً كما كانت ضواحي مكسيكو تبدو من خلال نافذة ذلك القطار الذي كانت تستقله مع تيم. وكما كان ذلك القطار يسرع شيئاً فشيئاً الى ان اصطدم بقطار قادم، فكذلك كان هذا القطار. وجمد الدم في عروق سارة، واحست بطعم الموت في فمها.

ووضع جايسون الصحيفة جانباً ونظر نحوها وقال:

- هل لك بكوب من الشاي؟ سأذهب وأرى اذا كانوا يقدمون الشاي هنا.

وهم بالنهوض على قدميه، تماماً كما فعل تيم في تلك المرة، فصاحت قائلة:

- لا يا جايسون، أرجوك لا تتركني وحدي!

ولم تدرك انها نهضت وارتمت بين ذراعيه، في محاولة لارجاعه الى مقعده وكذلك لم يتح لها ان ترى امارات الدهشة على وجهه، وكيف تحولت الى امارات اخرى مختلفة. كل ما ادركته بصعوبة هو انها كانت تتمسك به بعنف، وان ذراعيه كانتا تطوقانها وتشدانها اليه وهو يهدىء من روعها بلطف، كما لو كانت في الثالثة لا في الثالثة عشرة ويقول لها:

- سارة، ما بك؟ أنت الآن في أمان...

وبعد حين هدأ روعها وتوقف جسمها عن الارتجاف، ولكنها احست بانها ترزح تحت ثقل التعب والعياء. وكان وجهها غارقاً بين

كتفيه فسرى الى قلبها شيء من الدفء. يا له من شعور هنيء بالامان ان تكون هكذا ملتصقة به.

ولم تحاول ان تبدي حراكاً، كما ان جايسون لم يكن في عجلة من امره. وكان القطار يشق طريقه مسرعاً، والحقول والاشجار تمر بالنافذة مرور البرق. ولم تعد سارة خائفة، بل راغبة في ان تبقى هكذا بين ذراعيه، تصغي الى خفقات قلبه، وتتشوق الى النظر اليه لترى اذا كانت امارات الحنان ظاهرة على وجهه، ولكنها لم تفعل، مخافة ان يقرأ الحقيقة في عينيها، وهي انها كانت تحترق اليه.

وبجهد جهيد تمكنت من التراجع عنه والجلوس في مكانها وهي ترفع خصلات شعرها المتدلية على وجهها ثم قالت له:

- انا آسفة لاني تصرفت هكذا بلاهة... ربما ظننت اني...

فقاطعها قائلاً:

- انك ترجعين الى طفولة ثانية... لا، ليس هذه المرة. فأنا استطيع ان اتعرف الى الخوف حين أراه. وأنت كنت خائفة، لا بل مذعورة... هل لانك في قطار؟

فاشارت محية بالايجاب. فقال ببساطة وهو ينظر الى فمها:

- لا عجب في ذلك... أرى دماً على شفتيك.

واخرج المنديل من جيبه وانحنى نحوها يمسح الدم.

فقالت وهي ترتعش:

- شكراً. اخشى ان يكون بعض الدم نزف على ثيابك.

ونظر الى سترته حيث كان رأسها ملقى، ومسح بقعة صغيرة من الدم عالقة هناك وقال:

- لا شيء يذكر... المهم ان تتحسن حالتك.

فاجابت قائلة:

- انا بخير الآن. شكراً لك.

وكانت فعلاً بخير. ذلك لانه اراها قدرته على ان يكون حساساً ومتفهماً، لا عنيفاً بالطبع والتطبع، فبعث في نفسها الامل ان تتمكن

يوماً من الايام بأن تجعله يصغي اليها ويصدق كلامها.

وقال لها:

ـ حسناً، وماذا عن ذلك الكوب من الشاي؟ لك ان تدعني معي لاحضاره اذا كنت لا تريدين ان تبقى هنا وحدك ريثما اعود.

قال ذلك، وهو يفتح باب العربة ويفسح لها مجال الخروج قبله فقالت له وهي تمر من امامه:

ـ شكراً يا جايسون على شهامتك ومروءتك.

فأجابها ببرودة:

ـ لا اريد ان اعود الى البيت بعد طول غيابي، وبرفقتي فتاة مذعورة تكاد تفقد رشدها... ألا ترين ذلك؟

ومشت في ممر القطار امامه وهي تتمايل يميناً ويساراً. والحرى ان لا شيء تخبر فيه، وان املها بذلك، على ما بدا لها، ضعيف جداً.

وحين عادا من مطعم القطار، تابعا رحلتهما بدون ان يحدث شيء يذكر فاستأنف جايسون مطالعة الصحف، وكذلك فعلت سارة. ازاح جايسون الصحيفة من امام وجهه وسألها عن حالها. فاجابته شاكرة انها بخير.

وكانت سارة تغط في نومها حيناً وتستفيق حيناً آخر، الى ان اقترب القطار من المكان الذي كانا يقصدانه فتعرفت الى بعض المواقع التي علقت بذاكرتها منذ أيام دراستها في المعهد هناك. وكانت تبدي سرورها بذلك، وبصوت عال، مما حمل جايسون على التساؤل ولكن بشيء من اللامبالاة.

ولم تكن سارة تنتظر منه ان يبالي بأي شيء يثير اهتمامها. ولماذا كان عليه ان يبالي فلو كان تيم هو الذي يرافقها عائداً الى بيت اهله، لكان سألها الف سؤال وسؤال عن حياتها الدراسية.

واغرورقت عيناها بالدموع، فيما هذه الافكار تجول في خاطرها. فتيم لم يعد في الوجود، ولم يبق احد تشاركه ذكرياتها الحميمة. جايسون يبغضها، واغلب الظن ان عمته تشاركه القاء اللوم عليها

في المأساة التي وقعت.

ووصل القطار الى محطة ويرهام فمشت سارة الى جانب جايسون على الرصيف. كانا أول النازلين من القطار، وفيما هما يتجهان نحو مدخل المحطة ومنها الى الباحة، اذا بفتاة طويلة القامة تلبس بنطالاً أسود ومعطفاً من الفراء الثمين تخرج من وراء مقود احدى السيارات وتهجم راكضة نحوهما وهي تصيح:

ـ جايسون... جايسون تايت! هذا لا يصدق. كنت أفكر فيك منذ لحظة وانا هنا انتظر قدوم اوليفر هل شاهدته في القطار؟

كانت عيناها زرقاوين مستديرتين تلمعان كالزجاج وهي تحدق الى جايسون. ثم لم تلبثا ان رقتا وكادتا تذوبان حنوية واسى. فالقت يديها الاثنتين على ساعديه وتابعت وقالت:

ـ أمر أمس، جايسون كم أنا تعيسة لوفاة تيم. لم أصدق الخبر حين حمله الي أوليفر بعدما سمعه أول البارحة. وطار النعاس من جفني طول الليلة الفائتة من شدة قلقي عليك. قالت هذا الكلام وحدقت في سارة، راسمة حولها علامة سؤال. فاجابها جايسون قائلاً:

ـ شكراً لك يا ديانا. لا داعي للقلق على لان سارة، زوجة تيم، كانت تعتني بي!

واشار الى سارة، ثم خاطبها قائلاً:

ـ اعرفك بديانا فوربس...

وفتحت ديانا فمها بدهشة عظيمة، وخانها الكلام لحظة ثم قالت:

ـ لا علم لي بذلك!

والتفت الى سارة معزية. فتمتمت سارة ببعض الكلمات ووقفت على حدة وهي تفكر أنها عجزت ان تدرك، طوال المدة التي قضتها مع جايسون، ان له حياته الخاصة في انكلترا. وهذه الحياة تتضمن أهلاً واصدقاء وعملاً، ولا صلة لها بها على الاطلاق، ما عدا انه كان عازماً على اخراجها منها في أسرع ما يمكن.

وكان اوليفر آخر من نزل من القطار، وحاول جايسون ان يودع ديانا، ولكنها أمسكته بذراعه واوقفته قائلة:

- انتظر وتحدث قليلاً الى اوليفر.

واسرعت نحو اوليفر وهو يناول بطاقة سفره الى المسؤول هناك، واخذت تحدثه بسرعة.

وقال جايسون لسارة بصوت خافت:

- هذه المرأة كالهم على القلب.

واقترب اوليفر وديانا، فانطلقت كلمات التعازي والتعارف. وشعرت سارة بالارتياح حين حان وقت الوداع. وقالت ديانا لجايسون.

- تعال لزيارتنا بأسرع وقت.. تعال وتناول طعام العشاء معنا، بعد أن تنتهي من تدبير امورك

ومد اوليفر يده الى سارة مصافحاً وقال:

- وأنت، أرجوك ان تأتي لزيارتنا. اختي وانا مسروران جداً لاستقبالك في بيتنا الجديد.

فشكرته على دعوته وهي [illegible] انه اكثر صدقاً ومعبرة عن اخته ديانا.

وبعد ان ذهبا وجد جايسون السيارة التي ارسلتها عمته لتقلهما فطلب من سارة بعصبية ظاهرة الصعود اليها.

وصمت جايسون والسيارة تشق طريقها عبر البلدة نحو البرية باتجاه البحر. وصمتت سارة ايضاً وهي تذوب عطفاً عليه لانه لا بدّ ان يكون حزيناً لعودته هكذا وحيداً الا منها، وهي التي تذكره بفقدان اخيه وشريكه ورفيقه!

ورمقت اليد السمراء القلقة على مسند المقعد وتاقت الى ملامستها لتعزية صاحبها مثلما عزاها هو في القطار. غير ان ذلك كان من المحال، فهي في نظره آخر من يلجأ اليها في سبيل الحصول على العزاء. ففي المكسيك، حين كان ألمه لفقدانه اخيه جديداً بعد، لجأ

اليها كمحتضر على حد تعبيره. أما الآن فهو في وطنه وبين اهله واصدقائه، ولم يعد بحاجة اليها حتى كمحتضر.

وتذكرت كيف اشرق وجه ديانا فوربس عندما شاهدته، وكيف قبلته وحدقت اليه. كان مغزى ذلك واضحاً جلياً. فهل كانت مقربة اليه على نحو خاص؟ وأبعدت عنها هذه الفكرة واعتبرتها نتيجة كرهها لديانا منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليها، ولكن شيئاً في اعماقها كان يصر على انها لم تكن في اعتبارها هذا على حق. فالواقع هو ان فكرة غرام جايسون بديانا فوربس أو اي امرأة اخرى يمكن ان يدمر حياتها اذا لم تنتبه وتأخذ حذرها. فخيرها ان تنسحب من حياة جايسون ثابت انسحاباً كاملاً، وتبدأ حياة جديدة بأسرع ما يمكن.

وتراجعت الى زاوية المقعد وتطلعت من النافذة. ثم لم تلبث السيارة ان اجتازت قرية صغيرة وسلكت رابية. كان الطريق اليها متفرعاً من الطريق العام. وبعد مسافة قصيرة توقفت أمام منزل حجري رمادي اللون. وحين ترجلت سارة من السيارة وتأملت المنزل وما يحيط به شعرت كمن يعود الى بيته بعد غربة طويلة. ذلك ان منطقة دورسيه كانت الوطن الوحيد الذي تتذكره.

ودفع جايسون للسائق أجرته والتفت الى سارة قائلاً بسخرية:

- اهلاً وسهلاً يا سيدة ثابت!

وكانت العمة فيرا مفاجأة لسارة. ذلك انها توقعت ان ترى سيدة طويلة القامة سمراء اللون، متقدمة في السن، جافة الطبع كجايسون، فاذا بها أمام امرأة معتدلة القوام، كستنائية الشعر، مشرقة الوجه، سهلة الابتسام.

واقبلت المرأة نحو جايسون، فقبلته وعانقته قليلاً بصمت حزين. ثم التفتت الى سارة، وبدون مقدمة، طوقتها بذراعيها وحضنتها بعطف شديد. فشعرت سارة، على حين غرة، بالارتياح لأن جايسون، على ما يبدو لم يوغر صدرها عليها كما خشيت ان يفعل.

ثم تطلعت فيرا الى جايسون قائلة:

- انت لم تخبرني!
- ماذا اخبرك؟
- ان سارة فتاة على مثل هذا الحسن.
- ألم اخبرك؟ اعاني نسيت!

ونظرت العمة فيرا الى سارة تارة والى جايسون تارة اخرى، ثم قالت بصوت حانٍ:

- لا بد أنك متعب جداً يا عزيزي لكثرة ما عانيت من مشقة السفر... أعددت الشاي، وسنشربه قبل أن نتناول طعام العشاء. والآن اجلسا هنا حتى اذهب وآتي به.

وتطلعت سارة الى جايسون، وكان يدير ظهره اليها ويقرأ رسالة وجدها هنالك بانتظاره، فداخلها الخوف منه وقالت لفيرا:

- هل تسمحين لي بمرافقتك؟
- نعم، نعم. واعلمي يا ابنتي ان هذا البيت بيتك. وبامكانك ان تفعلي ما يحلو لك.

وفي المطبخ قالت فيرا لسارة:

- طيلة هذا النهار يا عزيزتي وانا افكر في ماذا اقول لك. فالوضع الذي نحن فيه مأساوي. والآن بعد ان رأيتك، تبين لي ان كل ما فكرت ان اقوله لم يكن سوى كلام مصطنع، لاني اشعر بأننا سنكون صديقتين... واعلم ان تصدق شعوري هذا.

واحست سارة بأن هذا الكلام كنار توقد في غرفة ملأها الصقيع تسكتها طوال الوقت الذي مضته برفقة جايسون. وقالت لفيرا بصعوبة:

- اتسمحين لي ان اسألك ماذا اخبرك جايسون عني وعن زواجي بتيم، وعن كل شيء؟

واخلت الله تقلي، فسكبتها فيرا في ابريق الشاي، ثم تطلعت الى سارة واجابتها بصراحة لا يرقى اليها الشك:

- لم يخبرني بشيء على الاطلاق. كل ما قاله لي هو انك ليس لك

أهل تلتجئين اليهم، ولذلك، فهو عازم على اصطحابك معه الى هنا.

فقالت سارة بتردد:

- ولكن جايسون لا يريدني. فهو يلومني على ما جرى لتيم.

ووضعت فيرا ابريق الشاي على عربة نقل الطعام وغطته بغطاء مطرز باليد وقالت:

- اهذا صحيح؟ لا بأس، فلا شك سيدرك خطأه يوماً، فهو كمعظم البشر قد يقع احياناً ضحية التطرف في الشعور. وحين كان صغيراً اتصف بالعناد الشديد، ولكني لا اتذكر انه كان يتمسك بعناده طويلاً.

وتوقفت عن الكلام، فيما تحول لون عينيها الرماديين فجأة الى مثل لون الصقيع وقالت:

- ولقد حلت علينا جميعاً كالكارثة، ولا سيما جايسون، لتأثر الشركة واعمالها بهذه الوفاة. ولكن هذا كله لا علاقة له بوضع اللوم في ذلك على احد، ولا بالسماح لانفسنا بأن نرزح تحت ثقل الكارثة. فالحياة تستمر في سيرها وعلينا ان نسير معها.

وربتت على كتف سارة وتابعت قائلة:

- دعيني اعتني بك فترة من الزمن يا عزيزتي، فانت منهوكة القوى كهرة شريدة، ويلزمك قسط من الراحة والغذاء، حتى اذا انقضى شهر واحد تغيرت حالك واصبحت على ما يرام.

وفكرت سارة كيف يمكنها الاحتمال شهراً بعد، اذا كانت سترى جايسون كل يوم. ولذلك بات عليها ان تفتش في اسرع وقت، خطة للافلات من ذلك الفخ.

وفي الفراش تلك الليلة اغمضت جفونها وراحت تفكر في الأمر، الى ان استقر رأيها مؤقتاً على البقاء الى حين في ضيافة العمة فيرا التي كانت تبدي كل عطف وحنان. وعلى ذلك استسلمت الى النوم، لأول مرة منذ ايام، بمثل تلك السرعة.

ومضت ثلاثة اسابيع سمحت سارة لنفسها بأن تتدلل، ولم تكن

تنوي ان تبقى في ضيافة العمة فيرا تلك المدة الطويلة، ولكنها كانت تعاني من الاعياء والانهاك اكثر ما كانت تتوقع. وحين كان طعام الفطور الشهي يصل اليها وهي بعد في الفراش، كانت تشعر بهناء لا يعادله هناء، خصوصاً وان رالف لم يكن هناك كي من قبل، ليحثها على النهوض لتكون على اتم الاستعداد للقاء اصدقائه الاثرياء.

واصطحبتها فيرا مرة بالأتوبيس الى بورنموث حيث اشترت لها لوازم السباحة من ثياب وما الى ذلك. وهكذا تمكنت من قضاء معظم وقتها على شاطىء البحر، تلهو وتسبح وتتشمس. وكانت احياناً تصعد المرتفع المطل على البحر الواسع، وتترك الهواء يداعب شعرها ويدغدغ بشرتها الغضة التي لوحتها حرارة الشمس.

ولم تكن تلتقي جايسون الا لماماً، عند ذهابه الى حوض بناء السفن او العودة منه. وكان يقضي معظم وقته هناك. وغالباً كان يترك المنزل قبل ان تنهض من الفراش، ويعود اليه بعد ان تكون انتهت من تناول طعام العشاء مع العمة فيرا. وكان جايسون يجلس وحده في غرفة الطعام ويسترق النظر الى غرفة الجلوس حيث كانت تجلس سارة وفيرا. وبعد الانتهاء يعتزل في مكتبه، فلا يعود احد يراه في تلك الليلة.

وقالت لها فيرا.

- لا تظني ان جايسون يتعمد الانعزال ما أمكن بسبب وجودك هنا يا سارة. فهو، بالحقيقة، منهمك جداً في عمله هذه الايام. لا اعرف دقائق الامور، ولكنني أعرف انه ينفق كثيراً من المال والجهد في مغامرة تصدير السفن التي يبنيها في الحوض بدون توقف لتلبية الطلبات في وقتها، ومنها بناء يخت فخم لشاب ثري جاء للاقامة في الجوار منذ وقت قريب.

- هل هو اوليفر موريس؟

- نعم، وهل تعرفت اليه؟

- كان في القطار الذي نقلنا الى هنا.

وشعرت سارة بالحرارة تصعد الى خديها، حين تذكرت رحلتها في القطار، ثم تابعت كلامها قائلة:

- تعرفت اليه لان اخته استقبلته في المحطة.

وغرزت فيرا الابرة في قطعة القماش التي تطرزها وقالت بعصبية:

- ديانا؟ يا لها من طفيلية! ولكن الرجال يحبيهم الجهل المطبق احياناً.

ولم تشرح ما تعنيه بهذا الكلام، ولا طلبت منها سارة ان تفعل. ولاحظت سارة من تصرف فيرا ان حدسها بوجود علاقة بين جايسون وديانا كان على حق، وجلست تحملق في الموقدة، في تلك الغرفة الحبيبة التي كانت تخلد فيها الى السكينة والراحة منذ ثلاثة اسابيع، حتى أصبحت تعشقها. وتساءلت في نفسها اذا كانت ديانا ستنجح في اصطياد جايسون، فتأتي للسكن في هذا المنزل، ولكن شيئاً واحداً كانت سارة متأكدة منه، وهو انها لن تبقى طويلاً حتى تشهد ما يتم في هذا الشأن.

- نعم، أعتقد ان افضل شيء لك يا سارة هو ان تأخذي دروساً في ادارة الاعمال المكتبية.

قالت الآنسة غلن رئيسة مدرسة البنات هذا الكلام ونهضت من كرسيها مشيرة الى ان المقابلة انتهت.

ونهضت سارة أيضاً وتبعتها الى الباب تودعها شاكرة، فقالت لها الآنسة غلن:

- طبعاً، لو أكملت دراستك هنا على المستوى الممتاز، لكان امامك خيارات كثيرة.

وكانت بذلك تظهر امتعاضها، شأنها مع كل طالبة تترك المدرسة قبل ان تكمل دراستها، مما بعث القشعريرة في أعماق سارة. فهي انما جاءت الى مقابلة الآنسة غلن لتفضي اليها بما جرى لها، ولكنها وجدتها منهمكة بالعمل الى حد لا يسمح لها بالوقت الكافي للاصغاء

اليها. وكان كل ما استطاعت ان تخبرها به هو انها عزمت على الاستقلال التام عن زوج أمها. فرأت ان تأتي لاستشارتها في شأن ايجاد وسيلة لاعالة نفسها بنفسها. ثم اعترفت لها بانها اخطأت حين تركت المدرسة باكراً.

وضمت الآنسة علي غرفة مكتبها وهي تقول لها:

- علينا ان ننسى اخطاءنا، وان نتعلّم منها دروساً في الحياة. في كل حال لا تقلقي يا سارة، فعنوانك عندي وسأرى كيف يمكنني ان أتدبر أمر ايجاد وسيلة تسمح لك بالدراسة هنا. وسأتصل بك، فتأتين الى زيارتي في وقت لا أكون فيه منهمكة في العمل!

وفيما سارة تشكرها وتهم بمغادرتها، قالت لها الآنسة علي:

- كلمة أخيرة يا سارة. انت تدركين انه ليس عليك ان تشعري بانك مدينة لزوج امك بشيء. فأقساطك المدرسية كانت تدفعها شركة التأمين، بموجب العقد الذي تممه والدك بعد ولادتك. هل كنت تعرفين ذلك؟

فاجابتها سارة:

- كلا. اشكرك لاخباري به يا آنسة علي.

وفيما سارة تنزل ببطء ذلك الدرب الطويل المؤدي الى الطريق العام، حيث تركب الاوتوبيس لنقلها الى بورغوث، شعرت بشيء من الدفء، وهي تفكر بالأب الذي لم تعرفه، والذي أراد ان يبذل اقصى ما يستطيع لاجلها، فجعلها هذا الشعور لسبب ما، اقل وحشة وكآبة من قبل.

ولكن حين عادت الى بورغوث ووقفت في مواجهة البحر تحدّق عبر مياهه نحو جزيرة وايت، عادت اليها الوحشة. كان عليها ان تسر بالخطوة الاولى التي اتخذتها نحو مستقبل جديد، بعيداً عن جايسون نايت، ولكن مقابلتها مع الآنسة علي لم ينجم عنها اي شيء حاسم لتشجعها ورفع معنوياتها.

واستندت الى الحاجز وتركت النسيم يبعثر خصلات شعرها

ويلاعب قميصها المشقوق عند الصدر. وفكرت ان ذلك الشاطئ سيمتلئ، بعد بضعة أسابيع بالمصطافين، ولكنه الآن في نيسان (ابريل) لم يكن فيه غير سكانه الذين ينعمون بنور شمس الربيع. وحاولت ان تجلب السرور الى نفسها بالتفكير انها في عز صباها، وانها حسناء وكلها عافية، وانها ستعود الى دراسة الاعمال المكتبية التي تؤدي بها الى الاستقلال عن الآخرين وبناء حياة خاصة بها.

وفجأة سمعت صوت رجل يقول لها:

- ماذا تفعلين هنا؟

فاستدارت وقلبها يكاد يقفز من بين ضلوعها، فاذا بها وجهاً لوجه امام جايسون. فقالت له:

- انا لا أحاول الهرب، اذا كان هذا ما خطر ببالك!

ووقف ينظر اليها. وكم كانت دهشتها عظيمة حين رأته يبتسم وهو يقول لها:

- لم يخطر ذلك ببالي. في كل حال، لا يمكنك الهرب بالقليل من المال الذي في حوزتك!

فشعرت سارة بالارتياح لسبب تجهله، الاّ اذا كان السبب وجوده قربها وهو يبتسم.

وقالت له بجفاف:

- هذا دليل على كرمك.

وكانت تشير بذلك الى انها وجدت بعد يوم من وصولها، ظرفاً تحت باب غرفتها يحتوي على قليل من المال لمصروفها اليومي.

فقال لها:

- لم أشأ ان اجازف. واستند الى الحاجز بقربها وتابع قائلاً

- لم تخبريني ماذا ذهبت تفعلين في بورغوث.

فاجابت بتردد:

- لا شيء يثير الاهتمام. رافقت عمتك الى حيث تتعلّم التطريز، ثم فارقتها وتمشيت في شارع البلدة بعض الوقت قبل ان استقل

الاوتوبيس عائدة الى هنا.

فقال لها:

- لا حاجة بك الى اوتوبيس. أنا عائد الى البيت بعد حين وبوسعك ان تأتي معي.

واشار اليها بالصعود في سيارته المتوقفة على مقربة من المكان وجلست الى جانبه في تلك السيارة الفخمة وهي تعبر الشوارع باتجاه البيت. وحاولت ان تجد ما تكلمه به، ثم آثرت ان تصمت، ملقية يديها المتشابكتين في حضنها.

ثم قالت له بعصبية ظاهرة:

- لحسن الحظ انك رأيتني وانا واقفة هناك.

فاجاب بدون ان ينظر اليها:

- حظك أنت أم حظي أنا؟!

- حظي أنا طبعاً، لأني لم ادفع من مصروفي القليل الخاص اجرة الاوتوبيس!

فابتسم ابتسامة عريضة بعض الشيء وقال:

- هكذا، اذن؟

وبعد صمت قصير سألته قائلة:

- هل حوض بناء السفن مكان واسع؟

فاجابها وهو يخفف سرعة السيارة عند المنعطف:

- ليس واسعاً بما فيه الكفاية. كنت انوي الخطط توسيعه، ولكن...

واجتاز المنعطف، ولكنه لم يكمل عبارته.

ولم تحاول سارة ان تتابع الحديث معه، فلزمت الصمت الى ان وقفت السيارة امام منزل ضخم في أحد الشوارع الخلفية. ولم تكن سارة تعرف كيف يكون حوض بناء السفن، ولذلك وجدت حين فتح جايسون بوابة حديدية ثقيلة ودخل منها مشيراً اليها ان تتبعه كان في الحوض عشرة رجال او اكثر قليلاً يعملون في البناء، كل

منهم في حقل اختصاصه. وكان في الجو ما يشبه رائحة الزيت وصدى اصوات يعلو على هدير الادوات الكهربائية.

وكان على يمينها وهما داخلان الى الحوض مركب كبير على وشك الانتهاء. فقالت سارة:

- يا له من مركب جميل حقاً!

واقتربت اليه وهي تبدي اعجابها به، فقرأت اسم «ديانا» مكتوباً باحرف بيضاء لامعة في مقدمته.

فقالت لجايسون:

- هل هذا هو اليخت الذي تبنيه لاولفر فوربس؟

فلما اجاب بالايجاب قالت:

- انه مركب ضخم ورائع!

- نعم، فهو دمية بيد رجل ثري، وأظن انك شاهدت كثيراً مثله

وكان هذا صحيحاً. ففي غضون السنة التي عاشتها مع رالف أبحرت في يخوت اصحابه الاثرياء اكثر من مرة، ولكنها لم ترد الآن ان تدخل مع جايسون في مثل هذا الحديث. وجالت بنظرها في ارجاء الحوض وقالت:

- هذا مكان واسع جداً.

- اوسع مما توقعت؟

- لم اكن اتوقع شيئاً، لأني لم افكر في هذا الموضوع ابداً.

ورمقها جايسون بنظرة وقال:

- لم تفكري في هذا الموضوع؟ ولكن لا شك في ان هنالك من فكّر فيه عنك؟

واستولى عليها الغضب من هذا الكلام، وكاد الشرر يتطاير من عينيها. وخطر لها ان تضربه على وجهه أمام جميع عماله، ولكنها ضبطت اعصابها وقالت له:

- الا تقلع عن توجيه مثل هذه التهم الي؟ تعبت وضجرت منها حتى الموت... واعجب كيف انك لا تزال مصراً على الظن بأني

تزوجت ثم لاجل ماله!

فاجابها وهو ينظر الى اصابع يديه:

- في كل حال، الى الآن انت لم تستفيدي شيئاً. ولكن وقت الحساب لن يطول.

- وقت الحساب؟ لا افهم ماذا تعني.

وتفرس جايسون في وجهها جيداً قبل ان يقول:

- اكاد اقتنع بصدق كلامك!

واستدار نحو مصدر صوت يناديه، فاذا باوليفر فريرس مقبلاً نحوهما. كان يرتدي سترة جلدية غالية الثمن، وعلى شفتيه إبتسامة عريضة

وبادرهما بالتحية، ثم قال وهو يحدق الى سارة:

- يا لها من مفاجأة سعيدة... كيف حالك يا سارة؟

فردت التحية بمثلها، وهو ينظر اليها على نحو احرجها وضايقها

وهنا قال جايسون بنبرة عملية:

- يختك سيكون جاهزاً في الموعد المعين، وغداً نضعه في مكانه في الميناء.

فاجابه بابتهاج:

- انجاز رائع... ما رأيك باقامة حفلة تدشين؟ يمكننا ان نبحر باليخت الى فرنسا، وهناك...

فقاطعه جايسون قائلاً:

- هناك؟ ليس بهذه السرعة يا صديقي. يجب ان يمر بمرحلة والروداج قبل ان يقطع مسافة بعيدة كهذه. ثم ان هنالك بعض المعاملات الرسمية يجب انهاؤها.

فقال اوليفر:

- ولكن يمكننا ان نصعد اليه حين يوضع على الماء.

- هذا ممكن، بالطبع.

- اذن، دعنا نجتمع كلنا هنا في السادسة والنصف مساء. لما

رأيكما؟

ونظر اوليفر الى سارة وخاطبها قائلاً:

- ارتدي ثياباً دافئة يا سارة، هذا المساء.

وبعد ان امتدح زيها الذي كانت تلبسه، قال لجايسون:

- هل توافق يا جايسون، الساعة السادسة والنصف،

ونظرت سارة الى وجه جايسون، فرأته جامداً وغير متأثر بشيء،

وقال جايسون بعدم اكتراث:

- اوافق.

وبدا لسارة ان موقف جايسون لم يكن كما يجب ان يكون موقف رجل اتم صفقة تجارية كبيرة.

واقبل رجل من العاملين في الحوض، فهمس في اذن جايسون كلاماً اعلن على اثره لسارة واوليفر انه مضطر الى فراقهما قليلاً لمحادثة الرجل.

وعندما انفرد اوليفر بسارة، لم يظهر عليه انه كان يستعجل الرحيل. والقى يده على المركب الجديد مداعباً خشبه الجديد الرائع وهو يقول لسارة:

- كم اتوق الى رؤيته في الماء... وديانا كذلك. فهي وجايسون تعاونا على تأثيثه في الداخل منذ البداية.

وقهقه ضاحكاً، ثم تابع كلامه قائلاً:

- وتعاونا على الاكثر من ذلك

والقى نظرة ذات مغزى على جايسون وهو يتحدث الى رجلين اثنين على رصيف الحوض.

فسألته سارة قائلة:

- هل ديانا مخطوبة لجايسون؟

فقهقه ثانية وأجاب:

- ليس رسمياً بعد... ربما غداً، فيكون الاحتفال احتفالين...

قال ذلك، ثم ودعها بتردد.

وراقبته وهو يتعد عنها، فشعرت بالضيق والكآبة. لذا لم يخامرها أي شك في ما سيكون عليه الاحتفال الثاني غداً.

٧- أنت خفيفة كالريشة

وفي طريق عودة جايسون وسارة في السيارة الى البيت، لزم جايسون الصمت طويلاً، ثم قال لها:

- هل تريدين حقاً ان تحضري الحفلة غداً يا سارة؟ فربما أستطيع ان اجد عذراً لعدم حضورها.

فلم تتردد في الاعراب عن رغبتها في الحضور، لأنها أرادت ان ترى كيف يتصرف مع ديانا فوربس. ففي ضوء ذلك تستطيع ان تتأكد من كثير من الأمور.

فقالت له:

- اظن ان الحفلة ستكون ممتعة... كان اوليفر مصراً على دعوتنا الى حضورها، ومعتزاً ببحثه الجديد... فهو رجل طيب، ألا تظن ذلك؟

فاسترخى في مقعده وحدجها بنظرة تأمل طويلة، ثم قال:

- ولا تنسي ايضاً ان اوليفر رجل ثري!

فأثارتها نبرته الاتهامية، فأجابته بعصبية:

- ماذا تقصد بكلامك هذا؟ ألا تستطيع ان تقلع عن عاداتك في الخبث والدس؟

فرفع حاجبيه وتطلع اليها بأجفان ترتعش، كأنما طعن بحربة، وقال:

- الحق معك... ربما أصبح ذلك من عادتي.

وحين علمت العمة فيرا بخبر الحفلة ابتهجت وقالت لسارة:

- ماذا ستلبسين يا عزيزتي؟ سيكون الطقس بارداً على ظهر اليخت في هذا الوقت من السنة.

فأجابتها سارة:

- نعم، هذا ما قاله اوليفر ايضا، واقترح عليّ ان ارتدي اللباس الذي كنت ارتديه بعد ظهر اليوم.

- فكرة صائبة. نعم، كنت بارعة الحسن في ذلك اللباس الزاهي، ألا تعتقد ذلك يا جايسون؟

فأجابها بالايجاب بدون ان ينظر اليها، وكان يقطع بالسكين آخر قطعة من التفاحة التي بين يديه وهو جالس الى الجانب المقابل من المائدة.

وتابعت العمة فيرا كلامها قائلة:

- ستعتني بسارة يا جايسون، أليس كذلك؟ ارجو ان تنتبه الى انها لن تبرد في الحفلة. فصحتها تحسنت كثيرا، ولا نريد ان يصيبها اي انتكاس.

فرفع جايسون عينيه عن هذه المرة وتطلع الى سارة مبتسماً وقال:

- اعتقد ان اوليفر سيعتني بها جيداً... فهي استطاعت بسرعة فائقة ان تثير اهتمامه... والآن هل تسمحا لي بأن أترككما؟ فعندي عمل ضروري يجب عليّ انجازه الليلة.

قال ذلك وحمل فنجان القهوة وخرج من الغرفة.

اما سارة فكانت تقهقه ضاحكة، ذلك لانها لاحظت ان فيرا تشك في وجود عاطفة بينها وبين جايسون، وأن تصرفه كان ناجماً عن غيرته من اوليفر.

ورمقت فيرا الجالسة الى جانبها بنظرة وهي تفكر كم كانت فيرا تختلف عما كانت تتخيلها قبل ان تراها. فهي اصغر سناً، بشعرها

الكستنائي الناعم، وعينيها العسليتين اللتين تشبهان عيني تيم، وروحها الشابة التي أتاحت لها ان تعرف بنفسها اموراً كثيرة لم تخبرها بها سارة.

وقالت لها سارة:

- شملتني بعطفك ورعايتك منذ جئت الى هنا يا عمتي فيرا فقبلتني على علاتي ولم تسأليني اية اسئلة!

فأجابتها فيرا:

- عندما تريدين ان تخبريني بأي شيء او تتحدثين في اي امر، فما عليك إلا ان تفعلي... وقد يكون الوقت لم يحن بعد!

فقالت لها سارة:

- سيحين الوقت قريباً جداً.

وكانت سارة بالفعل عازمة على ان تصارح فيرا بكل شيء، قبل ان تغادر منزلها. وتمنت ان يكون ذلك عما قريب.

وفي اليوم التالي كانت الشمس مشرقة والنسيم دافئاً عليلاً، وهو طقس أقرب الى منتصف حزيران (يونيو) منه الى منتصف نيسان (ابريل). ولم تأت الخادمة كعادتها كل صباح، فأصرت سارة على مساعدة فيرا في تدبير شؤون المنزل، وقالت:

- سأهتم بتنظيف غرف النوم، فهذا لن يضيرني في شيء.

وبالفعل لم يضيرها في شيء دخولها غرفة جايسون وتنظيفها وترتيبها بحماسة. وكانت حيث تلتفت كأنها تراه هناك. فأمام المرآة كان يحني ظهره ليمشط شعره، وعند النافذة كان يتطلع عبر البحر الى الأفق البعيد وهو يفكر في عمله وفي السفن التي سيبنيها، وربما في ديانا فوريس. كلا... كل شيء ولا ديانا فوريس... فلو شاءت ان تدخل هي في حياة جايسون، فلن يكون فيها مكان لتلك الفتاة.

ولم تكد سارة تنتهي من ترتيب الغرفة حتى خرجت منها بسرعة وتنفست الصعداء.

ومر ذلك النهار ببطء. وبينما كانت العمة فيرا تأخذ قسطها من

الراحة. تمشّت سارة حول المنزل من جهة البحر. كان منظر البحر رائعاً، نظرت صوب الأفق البعيد وتمنت لو انها تبقى طوال حياتها في ذلك المكان، الذي اصبحت تحبه كل الحب.

ولم يظهر أي اثر لجايسون كل النهار، ولكنه في السادسة مساء عاد الى المنزل ودخله كالعاصفة وراح يصعد السلم درجتين درجتين، ثم نزل الى غرفة الجلوس بعد ذلك بنحو عشر دقائق وشعره لم يزل مبلل بعد الاستحمام. وكان بإزائه الرمادي، وقميصه الحريري الفاتح، وربطة عنقه الحمراء الغامقة، حسن الهندام بحيث خفق قلب سارة رغبة واعجاباً عندما وقع نظرها عليه.

وقال لها بدون ان يتطلع اليها:

ـ هل انت مستعدة؟

واصعدها الى السيارة ثم ودع العمة فرا في المطبخ وقاد السيارة بسرعة العاصفة في الطريق الساحلية. ولكنهما مع ذلك لم يصلا في الوقت المعين لركوب العوامة في سانتفيلس، فكان عليهما انتظار النقلة التالية. وحين وصلا في آخر الأمر الى بناء اليخوت، كان اوليفر وديانا قد سبقاهما.

أوقف جايسون سيارته وراء سيارة اوليفر الحمراء الفخمة، فأقبلت عليه ديانا وطوقته بذراعيها حالما نزل من السيارة وهي تقول:

ـ أليس هذا رائعاً. عندما أخبرني اوليفر عن الحفلة طرت فرحاً... آه، يا حبيبي جايسون، كم أنت رجل فطن وذكي لأنك انهيت يختنا الجميل في الموعد المحدد... وأنا الآن مشوقة جداً للصعود اليه.

وكانت سارة جالسة في السيارة تراقب ديانا، فرأتها فتاة جميلة ممتلئة القامة، تتضح صحة وعافية. وكانت انذاك ترتدي بنطالاً ضيقاً أزرق اللون وسترة فرو بيضاء لا تصل الا الى خصرها. وفكرت سارة بحزن ان ديانا هي فتاة من النوع الذي يرغب جايسون في الزواج به. ذلك لانه رجل يقضي معظم وقته في الطبيعة ويعمل

في بناء السفن.

وقالت ديانا لجايسون وهي تمسكه بذراعيه، غير مبالية بوجود سارة في السيارة:

ـ هيا بنا... لم أعد اطيق الانتظار

فابتسم لها وردّ مازحاً:

ـ هل انت مستعدة لدخول مباراة السباق حول العالم؟

ـ كيف لا؟ شرط ان تكون برفقتي!

فتأوه جايسون وقال:

ـ ماذا يطلب الرجل أكثر من ان يكون بجانب احدى عرائس البحر في خضم محيط دافىء!

ـ لا أحد دعاني عروس بحر من قبل يا جاي!

وهنا لم تستطع سارة ان تطيل الصبر، فنزلت من السيارة وهي تقول لجايسون وديانا:

ـ كفاكما الآن... هيا بنا الى حيث نحن ذاهبون.

وما كادت تضع قدميها على الأرض حتى تلقفها اوليفر وأمسك بيديها الاثنتين مرحباً وهو يقول:

ـ كم أنت رائعة الجمال يا حلوتي! هل تسمحين لي؟

وفي لحظة كان يطوق خصرها، وقبل ان تدرك ماذا ينوي ان يفعل، طبع قبلة على خدها.

وفي هذه الاثناء، كان جايسون أفلت من ديانا وقال:

ـ هيا بنا... أنذهب في سيارتي أم في سيارتك يا اوليفر؟

ـ في سيارتي. جايسون وديانا يجلسان في المقعد الخلفي وسارة تجلس بجانبي وتمسك يدي وأنا أقود السيارة...

فلزم جايسون مكانه وقال:

ـ انا لا اثق بسائق يقود سيارته بيد واحدة.

فحدجه اوليفر بنظرة حائرة وأجاب:

ـ تعال يا جايسون... كنت أمزح، لا اكثر ولا اقل.

وقهقهت ديانا ضاحكة ودعت جايسون الى صعود سيارة اوليفر وهي تقول بابتسامة كشفت عن اسنانها البيضاء:

- عهدي بك طويل البال، يا حبيبي!

وصعدت سارة الى السيارة وجلست الى جانب اوليفر، فرحّب بها وشدّ على ركبتها بيد وأدار المحرك باليد الأخرى.

وكانت الميناء على مسافة بضع دقائق. وحين وصلوا أوقف اوليفر السيارة، فنزلوا وساروا على الرصيف.

وانحنى اوليفر نحو سارة وهو يقول:

- هذا شيء عظيم... أي لقاؤنا اليوم في هذا الاحتفال!

ولم تكن سارة متأكدة من صحة هذا الكلام. فالليلة كما بدأت لم تكن تبشر بالخير.

وحاولت سارة ان تغير الجو، فجالت بنظرها في الميناء، وقالت:

- تبدو هذه الميناء قديمة، حتى يخيّل اليك انك قد تفاجأ بقرصان نزل الى اليابسة ويستريح في احدى الزوايا!

كانت هذه الملاحظة غير حكيمة. وادركت سارة ذلك، ولكن بعد ان نطقت بها. فما كان من اوليفر الا ان رمقها بنظرة كلها معنى، ثم اقترب وهمس في اذنها قائلاً بلهجة مجنونة:

- ما ان نصعد الى اليخت حتى تصبحين كلك لي!

وهنا ارتفع صوت جايسون مخاطباً اوليفر:

- أوقفنا اليخت داخل حائط الميناء هذه الليلة فقط، وسنعيدها الى مرفئها غداً، اذا كان هذا هو الذي تريده!

فأجابه اوليفر:

- كما تقول يا صديقي.

وما ان حانت منه نظرة الى اليخت حتى صاح:

- هذا هو... هيا بنا نصعد اليه في الحال

وقفز من السيارة ومد ذراعيه ليساعد سارة في النزول، ولكن جايسون اندفع نحوها وسارا نزولاً على السلم الحديدي المستند الى

حائط الميناء، وتبعتهما ديانا بعد ان ابدت عدم حاجتها الى مساعدة جايسون.

وبدا اليخت لسارة، حين وصلت اليه اصغر مما خيّل اليها منذ رأته للمرة الأولى. غير انه كان مركباً رائع الفخامة حقاً.

ودخل جايسون وديانا في حديث يتناول بالتفصيل كل ناحية من نواحي اليخت: كيف يعمل؟ ومن أي شيء يتألف؟ ولأي شيء هذا الجهاز او ذاك؟... اما سارة، فسارت مع اوليفر وهي تحاول ان لا تبالي بالآخرين وما يبدو عليهما من انسجام ووحدة حال.

وقال لها اوليفر:

- انا لا أعلم شيئاً من كل هذه التفاصيل التي يتحدثان عنها. فهي من اختصاص ديانا، وكل ما أعمله هو ان أدفع التكاليف... وهذا اليخت أرادته ديانا، وهي دائماً تنال ما تريد!

ونظر الى حيث جايسون وديانا. وكان جايسون يطوق خصر رفيقته بذراعه وهما مستغرقان في الحديث.

ثم تابع اوليفر كلامه قائلاً:

- افهمت ما أعني؟ أنظري اليهما... كأن واحدهما خلق للآخر.

وخشيت سارة ان ما يقوله صحيح. فديانا هي النوع الذي يليق به، بينما هي ليست سوى فتاة ساذجة سمحت للآخرين بأن يوجهوها كيفما يريدون. غير ان ذلك يجب ان يوضع له حد، وهي ستفعل ذلك قريباً. فهي الآن افضل حالاً من ذي قبل، وبامكانها ان تبني مستقبلها بنفسها، بدون حاجة الى جايسون أو سواه.

ودخلوا جميعاً الى غرف اليخت، فاذا هي مصنوعة على نحو رائع لا يوصف. فالجدران من الخشب، والمقاعد من المخمل، وهناك كل ما يحتاج اليه الانسان من أجل الراحة والعيش الهنيء.

وقالت ديانا لجايسون:

- هذا تماماً كما تخيلته يا جاي... انت رجل ملهم يا حبيبي، الدليل هذا المركب الفائق الجمال...

وقهقهت ضاحكة وهي تدعو الجميع الى الطعام والشراب واللهو، احتفالا بهذا الحدث السعيد.

وحين أخذت انوار اليخت تخفت أعلن جايسون ان قوارير الغاز لم تكن بعد متصلة بالخزان، ولكن هناك مشعلا كهربائياً في مكان ما من اليخت. واجتاز المطبخ الى الجهة الاخرى تتبعه ديانا وهي تضحك بصوت مسموع. ثم ساد الصمت وبقيا هناك ولم يعودا.

وكان اوليفر يجالس سارة، فلما خفت النور وحلا له الجو، امسك بذراعها وجرها الى الفراش وهو يقول:

- الفراش ضيق قليلا يا حبيبتي... ولكن لا بأس!

وجذبها اليه بشدة، وكانت الرغبة اخذت منه كل مأخذ، مما أزعجها كثيراً وجعلها تحاول الابتعاد عنه

فقال لها:

- لا تتصرفي معي هكذا يا حبيبتي، أعلم انك مروعة بأيام صعبة، ولكن الحياة لا تتوقف عن السير الى الأمام، ولا فائدة من العيش في الماضي

كان يقول ذلك ويده تعبث بشعرها. فدفعته عنها وهي تلتمس منه ان يعف عنها ويتركها وشأنها. وكانت تفعل ذلك بما أمكنها من الهدوء لئلا تعكر الجو وتزعج جايسون وديانا في الجهة المقابلة.

ولكن اوليفر لم يشأ ان يتوقف، بل شدها اليه اكثر فأكثر وجعلها تستلقي الى جانبه. وبدأت تشهق بالبكاء، فأطبق بيده على فمها ثم حاول عناقها.

وفجأة تساقط عليهما نور المشعل الكهربائي، وظهر ظل جايسون في الباب. ثم تقدم نحوهما بصمت وقال:

- كفى الآن... هيا... نحن ذاهبون

فأفلتت اوليفر سارة التي سارعت الى الوقوف على قدميها، وكل ما كانت تتمناه آنذاك هو ان تقفز من اليخت الى البحر وتغرق في أعماقه.

ونهض اوليفر بصعوبة وهو يقول لجايسون:

- لم يكن لائقاً ان تفعل هذا يا صديقي.

فأجاب جايسون:

- علينا الرجوع الى البيت أليس كذلك؟

وصاحت ديانا وراءه بمرح وابتهاج:

- دعونا كلنا نعود الى بيتنا ونستمع الى الموسيقى ونرقص ونأكل ما نجده جاهزاً في الثلاجة.

وضاق صدر سارة، خصوصاً حين خطر ببالها ما يمكن ان يحدث قبل نهاية تلك السهرة، فاندفعت الى الخارج رغبة منها في التخلص من اوليفر فوربس ونخبه الفخم واخته المتكبرة. وكانت تشهق بالبكاء وهي تضع قدمها على اللوحة الأولى من السلم الحديدي الذي يصعد بها من الميناء.

ولكن ما ان صعدت درجتين او ثلاث حتى زلقت قدمها، وعبثاً حاولت التمسك بحاجز السلم، فسقطت وغابت عن الوعي. وحين عاد اليها وعيها وجدت نفسها على ظهر اليخت وجايسون قربها.

وقال لها:

- من الجنون ان تفعلي ذلك. لماذا لم تنتظري؟

كان غاضبا ولكنه كان يلمس ساقها وكاحلها برقة ولطف ويقول:

- هل الوجع هنا شديد؟ لا أظن ان هنالك كسر.

وجلست سارة بصعوبة وقالت:

- الوجع في كاحلي فقط.

ووقفت ديانا امامها وهي تقول لها:

- قفي على كاحلك فتعرفين اذا كان أصيب بأذى

قالت هذا الكلام بانزعاج ظاهر، لأنها خشيت ان يحول هذا الحادث دون اكمال بقية السهرة.

وامسكت سارة بيد جايسون، فيما طوقت احدى ذراعيه خصرها، وتمالكت واقفة على قدميها. وشعرت بوجع في كاحلها ولكنه لم يكن

شديداً، الا انها تظاهرت بالوجع الشديد وصرخت متأوهة عن قصد.

وأحست ان ذراع جايسون تشدها اكثر من قبل، فازدادت استناداً اليه وهي تشعر بالارتياح. وأدركت ان السبيل الوحيد لاشباع جوعها الشديد الى عطفه ومودته هو ان تختلق أزمة ما. وقال لها جايسون:

- يجب ان أعود بك الى البيت لأرى تماماً ماذا أصابك. فلا فائدة من محاولة معرفة ذلك هنا.

فصاحت ديانا:

- لا حاجة الى ذلك... يكفي ان تذهب معنا الى بيتنا، وهناك يمكن معالجة الأمر بالتي هي احسن.

فأجابها جايسون بحزم:

- شكراً لك يا ديانا، ولكني أفضل ان أفعل كما قلت.

والتفت الى سارة قائلاً:

- هل تستطيعين ان تستندي على ذراعي يا سارة، فأحملك الى رصيف الميناء؟

ورفعها بدون صعوبة، فتعلقت بعنقه وخبأت وجهها في شعره الأسود الكث. وصعد بها السلم ثم أوقفها على الأرض قائلاً:

- انت خفيفة كالريشة. والآن انتظري هنا ريثما أذهب وآتي بسيارتي.

وأقبلت ديانا يتبعها اوليفر وقالت:

- الا يمكن لاوليفر ان يأخذها الى البيت، حيث تعتني بها العمة فيرا؟

فأجابها جايسون:

- العمة ليست في البيت، فهي في زيارة لأحد المعارف. ثم أني اشك في ان اوليفر يقدر ان يأخذ احداً الى أي مكان وهو في مثل هذه الحالة. واني أنصحك يا ديانا ان تتركي انت السيارة لا هو

وحدقت ديانا فيه ملياً وهي حائرة في أمرها، هل تتراجع عن موقفها ام تستمر فيه؟ ويبدو انها قررت التراجع فقالت لجايسون:

- كانت الحفلة رائعة على كل حال... نراك غداً في الميناء لدفع الترتيبات الأخيرة.

فأجابها جايسون وهو يبتعد عنها بسرعة لجلب سيارته:

- بكل تأكيد.

ونظرت ديانا الى سارة، وكانت جالسة على حجر، وقالت لها:

- هل تريدين ان ننتظر معك الى حين عودته؟

فأجابتها قائلة:

- لا. لا أرجوك. لا حاجة الى ذلك. وداعاً والى لقاء آخر.

وتمتمت ديانا بصوت مسموع:

- يا لها من سهرة بائخة! تعال يا عزيزي. دعنا نستقل السيارة.

وامسكت بذراع اخيها وسارت به وهي بادية الاضطراب في اتجاه السيارة. وتنفست سارة الصعداء حين رأتهما يبتعدان في السيارة...

ولم يبق عليها الا ان تنتظر عودة جايسون التي قد لا تكون عودة ميمونة، لأنها أفسدت عليه السهرة هو ايضاً.

ولكنه حين عاد لم يوجه اليها أية كلمة لوم على ما سببته من مضايقة أدت الى انتهاء السهرة قبل أوانها. فساعدها على صعود السيارة ثم جلس وراء المقود وقال بلهجة ساخرة:

- هل أنت مرتاحة الآن يا عزيزتي المسكينة؟

فأجابته وهي تبتعد عنه ما أمكن:

- نعم، شكراً.

وبعد فترة من الصمت لاحظت سارة انه جايسون لا يسير في الطريق التي جاء منها، فسألته قائلة:

- ألسنا عائدين بالعوامة؟

فأجابها ببساطة:

- كلا. سنأخذ الطريق الطويل، فالوقت مناسب للنزهة.

- ولكنك وعدت بارجاعي الى البيت، لكي...

فقاطعها قائلا:

- لكي أفحص كاحلا لم يصب بأي أذى؟

- كيف عرفت ذلك؟

- لم أشك في الأمر مطلقاً. لأنك لم تظهري اي وجع حين لمست كاحلك لأول مرة... فلماذا قررت بعدئذ التظاهر بالوجع وتمثيل هذه المسرحية؟

- لأني لم أشأ ان أذهب الى بيت فوريس.

ولم ينظر اليها، ولكنها استطاعت على ضوء البريق المنعكس من أنوار السيارة ان ترى حاجبيه يرتفعان علامة التفكير.

وانقضت فترة طويلة أخرى من الصمت، ففكرت ان جايسون لم يظهر اي انزعاج لعدم انهاء السهرة في بيت فوريس، فسرها ذلك كما لو انها تلقت هدية لا تثمن.

واجتازت السيارة بيرهام عبر الطريق الساحلية ثم قال جايسون:

- سنصعد التلال، وهناك نتوقف ونشرف على منظر رائع

وتساءلت سارة بينها وبين نفسها بخوف واضطراب عما قد ينتظرها بعد التوقف والتأمل في المنظر الرائع.

وأخيراً وصلت بها السيارة الى المكان المقصود، فتوقفت ولم يكن الظلام خيّم بعد، وحين تطلعت سارة الى تحت رأت منظراً ولا أروع. كانت مياه البحر تلمع كالفولاذ الصقيل، والبيوت والمنازل التي على شواطئه ترسل بصيص نورها كسراج الليل وكان الضباب يصعد شيئاً فشيئاً عبر الحقول المجاورة.

ونظرت سارة الى جايسون قائلة:

- ما أجمل هذا المكان!

فأجابها:

- نعم، ولكني لم آت بك الى هنا لهذا الغرض. يجب ان أتحدث اليك، وهذا المكان مناسب، خصوصاً والعتمة فيه لا بد ان تكون

رجعت من زيارتها.

واصلح من جلسته بحيث يستطيع ان يراقبها جيداً، ثم تابع قائلا:

- أخبريني أولاً لماذا لم تريدي ان تذهبي الى بيت فوريس

- لأني لم أشأ الانفراد بأوليفر. كان جريئاً وقحاً، مما ضايقني كل المضايقة.

- ولكن لم يظهر ذلك عليك حين سلطت النور عليكما وأنتما في الفراش.

- الظواهر كثيراً ما تغش وتخدع... وأنت دائماً تحكم بالظواهر.

- هل تحاولين اثارة الخصام بيننا يا سارة؟

كان هذا الكلام يخيفها منذ أسبوعين هناك في القرية، ولكنه لم يعد يخيفها الآن فأجابته بشجاعة:

- لا أبالي بشيء بعد الآن. فاذا كنت تريد الخصام، فأنا مستعدة له.

فأجابها بلطف لم يعرف عنه في مثل هذه الحالة:

- لا أريد الخصام... اذن، فأنت لم تكوني تخرجين به لأنه ثري جداً كما تعلمين!

فأثار كلامه غضبها، فصاحت به:

- كفاك كلاماً عن المال. الا تستطيع ان تفكر في شيء آخر؟

- في وسعي التفكير في أشياء كثيرة... ولكن ما لنا ولذلك الآن. هل تحاولين ان تقنعيني انك لم تكوني تريدين فوريس؟ اذن، لماذا لم تصرخي وتستنجدي؟

- لأني لم أشأ ان أزعجك واحرجك، فهم قبل كل شيء من أصدقائك.

- كلا، ما هم من أصدقائي، هم مجرد زبائن.

وتسرعت سارة وقالت:

- هل تعودت الانفراد بزبائنك من النساء في غرفة مظلمة؟

فأجاب بهدوء:

- أهذه هي المسألة اذن؟ الآن فهمت.

- ماذا فهمت؟

- لا شيء، مجرد فكرة.

وطالت فترة الصمت من جديد، حتى التفتت سارة نحنه، ووضعت يدها على عنقها وقالت:

- هل لهذا جئت بي الى هنا؟

فأجابها بصوت هادئ، عميق:

- كلا. خيل الي انه لا يمكن ان نتفاهم تفاهماً صحيحاً على أي شيء. وأظن ان الوقت حان، لأن تخبريني القصة بحذافيرها وكيف انتهت بزواجك من تيم، وماذا حدث بعد ذلك... فأنت تصرين على القول ان أسباب الحكم عليك... فأرجو ان ترجعي لي ذلك؟

كان هذا ما تاقت سارة اليه وحين جاء شعرت بالرعب، فقالت:

- ولكن، هل تصدقني؟ أم انك كعادتك ترمي كل ما أقوله لك في وجهي؟

- لا أدري. عليك ان تخاطري.

وضاق صدرها لهذا الكلام، فاستندت في مقعدها الى الوراء وتأوهت قائلة في نفسها انها لو اخبرته حقيقة الأمر ولم يصدقها، فعندئذ تأتي نهاية كل شيء، ويكون عليها ان تغادر بيته في أسرع وقت والى الأبد.

وقالت له:

- حسناً، سأخبرك بكل شيء.

وهناك، في ذلك المكان المرتفع، والظلمة تلف الكون، أخبرته بكل شيء، كيف ماتت والدها وهي طفلة، وكيف تزوجت والدتها برالف. وبما قالته له ان العائلة كانت ميسورة، ويقطن في منزل جميل في ضاحية لندن. وبعد موت والدها أرسلت الى مدرسة داخلية، ثم

قيل لها بعد فترة قصيرة ان والدتها توفيت. وكانت آنذاك في السابعة من عمرها.

وسألها جايسون قائلاً:

- وهل كان رالف يهتم بك ويزورك احياناً؟

فأجابته قائلة:

- زارني مرة واحدة وأخبرني انه كان عليّ ان أبقى في المدرسة لأنه لا يقدر ان يأخذني لأسكن معه. ولم يكن لدي أقرباء من أي نوع يمكنني الاقامة عندهم. وأخبرني رالف ايضاً ان المال لا يكفي الا لأقساطي المدرسية، وان عليّ ان لا أتوقع أي شيء اضافي منه.

- اذن، كان هو الذي يدفع اقساطك المدرسية.

- كلا. علمت بعد ذلك بسنوات عديدة ان والدتي تعاقدت مع شركة تأمين عند ولادتي على ان تنفق على دراستي، وهكذا لم أكن في الواقع مدينة لرالف بأي شيء.

وأخبرته كيف ان رالف عاد الى زيارتها بعد ذلك بعدة سنوات، أي عندما اقترب وقت الانتهاء من دراستها، وأخذها للسكن معه. فكانت ترافقه في رحلاته الى المنتجعات التي يؤمها الاثرياء، وينفق على ملابسها الفاخرة ويعرفها على اصدقائه.

وقالت سارة لجايسون:

- كان يعتقد اني لا أزال ساذجة، وهذا صحيح. ذلك لأن المدرسة لا تعلم الخبرة الحقيقية. وكان رالف لطيفاً معي، وحلو المعشر الى حد بعيد. ولكنه لم يكن يسمح لي بمعاشرة الشبان امثالي، لأنه لم يرد ان أقع في الحب ثانية. وصدقت كلامه. وبعد حين صادفت تيم في الكاركو

ولزمت الصمت فترة، فحثها جايسون على متابعة الكلام فقالت:

- وقع تيم في غرامي وطلب مني ان أتزوجه، فوافقت بعد ان عجزت عن اقناعه بالرجوع عن طلبه هذا. كنت أميل اليه كثيراً،

ولكني لم أقع في غرامه. وفي أي حال لم أكن أعرف ما هو الحب.
وأخذت نفساً طويلاً قبل ان تتابع كلامها، فأخبرته عن زيارة كارلوس سورانو في قصره في مدينة مكسيكو، وعن الشعور الذي أثارته تلك الزيارة وكيف حاول رالف ان يقنعها بالزواج به. ثم ذكرت لجايسون بالتفصيل كيف غضب رالف لأنها لم تشأ ان تتزوج كارلوس، وكيف حبسها في غرفتها في الفندق الى ان تقرر اما الزواج بكارلوس او العيش وحيدة لا تملك شيئاً.
وقال جايسون:
- وعندئذ عثر عليك تيم...
- لا. نعم. نعم. أنقذني من يد رالف، وأخذني الى مكسيكو حيث تزوجنا. كان تيم يفكر وينفذ كل شيء. وفي القطار جرى ما جرى، وأنت تعرف بقية القصة.
وبعد صمت قالت لجايسون:
- كان تيم يحبني من كل قلبه، وأنا كنت أميل اليه كثيراً. ولابد اني كنت سأحبه في النهاية وأنسى كل شيء.
ونظرت صوب الأفق البعيد والدموع تتساقط من عينيها.
فسألها جايسون:
- ألم تعاشري تيم؟
فأجابته قائلة:
- وهل من الضرورة ان تعرف؟
- نعم، من الضروري.
- كلا، ففي ليلة زواجنا قال لي اني كنت متعبة، فلم يشأ ان يزعجني.
واستسلمت للبكاء كطفل، فتركها جايسون لتهدأ قليلاً، ثم قال لها:
- اذن، لم تكن هنالك خطة للاستيلاء على بعض ما تملكه عائلة نايت من ثروة؟

فقالت له:
- لم أكن أعلم آنذاك ان لعائلة نايت أية ثروة.
- ولكنك يجب ان تعلمي الآن ان للعائلة ثروة ضخمة. فوالدي ورث عن والده مالاً كثيراً، فوظفها في بناء السفن. وحين توفي، منذ عشر سنوات، ترك ارثه مناصفة بيني وبين تيم. وحصة تيم التي يمكنك المطالبة بها الآن، بوصفك ارملته، تبلغ مبلغاً لا يأس به من المال. فلو شئت سحبها من الشركة، لتركتني في حالة مالية صعبة ذلك لأني كنت في المدة الأخيرة اوسع اعمال الشركة، خصوصاً في الخارج، ولهذا السبب كنا في المكسيك.
فسارعت سارة الى القول:
- لن أفعل شيئاً من هذا. لن أفكر مطلقاً ان استولي على ثروة تيم. فأنا لست بحاجة الى شيء. وليس من الانصاف ان أفعل ذلك.
- الانصاف لم يعد فضيلة متداولة هذه الأيام، خصوصاً فيما يتعلق بالمال...
وأصرت سارة على القول انها لن تلمس شيئاً من اموال تيم. وبعد حين قال لها جايسون:
- اذن هذه هي القصة... لا خطة ولا مؤامرة ولا أي شيء من هذا القبيل بمشاركة رالف!
- كلا، وأرجو ان لا تقع عيني على رالف مرة أخرى، ما دمت على قيد الحياة.
ولم يتحرك جايسون في مكانه ولا تفوه بكلمة. ولكن نظراتهما تلاقت في تلك اللحظة وكانت لا تخلو من التوتر، وخالجها شيء من الرعب فبدأت ترتجف.
وقال لها:
- أريد ان أصدقك، خصوصاً اني أصبحت أميل اليك يا سارة... اليك والى وجهك الصغير الجميل، وشعرك المشع كتبر

الشمس، وجسدك الرقيق. . . وكم أردتك لحظة وقعت عيناي عليك لأول مرة.

راحت سارة بالدماء تغلي في عروقها. وانتظرت ان يدنو منها ويطوقها بين ذراعيه، كما كانت تحلم دائماً. غير انه لم يفعل، بل أدار محرك السيارة وهو يقول:

ـ لن أسألك الآن لا أدري أين انتهي. فالأفضل ان تعود الى البيت في الحال.

وقاد السيارة صامتاً وعيناه مركزتان على الطريق امامه. وكانت سارة مستندة الى الوراء وهي تكاد تغرق في سيل من الهناء. كان اذن يحبها، وما عليها سوى الانتظار.

واجتازت السيارة القرية بأنوارها المضاءة في وسط الظلام، ثم انعطفت نحو البحر حتى وصلت الى البيت.

وكانت فيرا هناك وسمعت صوت هدير السيارة فخرجت الى رأس الدرجات، فيما كانت سارة وجايسون يدخلان الباب الأمامي. فقالت لهما:

ـ أهلا بكما. . . جئت منذ فترة وجيزة فرأيت سيارة واقفة هنا، وفيها رجل قال انه زوج امك يا سارة، واسمه السيد فرنسيس. ولم أعرف ماذا افعل، فدعوته الى الدخول عندما قال انك تنتظرين قدومه.

قالت هذا الكلام ودخلت البيت وسارت نحو المطبخ.

وكان رالف جالساً في غرفة الاستقبال يطالع احدى المجلات، فوقف بأدب وتهذيب حين دخلت سارة يتبعها جايسون.

فصاح بها مرحباً:

ـ كم أنا مشتاق اليك يا سارة عزيزتي. . .

وأقبل نحوها وأخذ يدها بكلتا يديه ونظر الى عينيها، ثم تابع قائلا:

ـ كيف خطر لك، يا صغيرتي، ان تهربي وتتزوجي في الخفية عني؟

ثم تلك الحادثة. . . آه كم تعذبت حتى توصلت الى معرفة ما جرى بعد جهد جهيد ووقت طويل. . . لماذا لم تعودي الي؟

فشعرت سارة بالاختناق، فوضعت يدها على عنقها وقالت له بصعوبة:

ـ كان عليك يا رالف ان لا تحضر الى هنا. فأنا لا أريد ان أراك.

وكان جايسون واقفاً وراءها فقال له:

ـ هذا رأيي أنا أيضا يا سيد فرنسيس. يجب ان أصارحك القول باني لا أرحب بك في بيتي، وأكون شاكراً لو تغادره في الحال!

فتظاهر رالف كم أصيب بأذى وقال:

ـ ولكن، يا عزيزي، لماذا. . .

فقاطعه جايسون قائلا:

ـ سمعت ما قلته لك، ولست مضطراً الى تقديم اي مبرر.

ونظر الى سارة وقال لها:

ـ اذا كنت تريدين ان تذهبي معه يا سارة، فعليه ان ينتظرك في السيارة خارجاً. اما اذا أردت الانتظار الى الغد، فبامكانك ذلك وأهلا وسهلا بك.

وسار نحو الباب ووقف هناك وقال لرالف:

ـ اذا أردت ان تعرف محامي فهو في دفتر التلفون واسمه برايت فما عليك الا التحدث اليه اذا شئت.

وهنا اندفعت اليه سارة وأمسكته بملابسه وصاحت به:

ـ ماذا تفعل يا جايسون؟ ليس الامر كما تظن. . . أنا لم أطلب منه ان يأتي ولم أكن انتظر قدومه. . . لقد صارحتك بالحقيقة ألم تصدقني؟

فأجابها بقوله:

ـ كفانا كذباً وتدجيلا.

ووضع يده على مزلاج الباب وتابع قائلا:

ـ كنت أصدقك.

وفتح الباب وخرج. وبعد لحظة سمعت صوت هدير سيارته وهي تغادر المنزل.

٨- حاولت ان أكرهك!

عادت سارة الى غرفة الاستقبال، وكان رالف واقفاً الى جانب النافذة. فابتسم لها قائلا:

- هل غادر المنزل؟ انه رجل مشاكس!

فأجابته بصوت عال:

- سمعت ما قاله، وهذا منزله. فالأفضل لك ان تذهب.

ولكن رالف نظر اليها نظرة صارمة وقال:

- ولكنك زوجة اخيه، فلا يحق...

وتوقف عن الكلام ملياً، ثم تابع بلهجة هادئة:

- انظري يا عزيزتي! هذا كله تصرف مسرحي وغير واقعي. لماذا لا نجلس معاً، انت وأنا، ونبحث في الأمر؟ ما جرى بخصوص كارلوس لم يكن سوى سوء تفاهم. وكنت على خطأ في دفعك الى الزواج به، وأنت أحسنت جداً في الزواج بذلك الفتى المسكين. لم اكن أظن آنئذ، انه يملك ثروة طائلة... وكم مرة قلت لك انه يليق بك ان تكوني امرأة ارملة، اتذكرين ذلك؟

ولم تستطع سارة ان تتحمل، فصاحت به:

- اخرج من هنا. اخرج الآن في هذه اللحظة... لا اريد ان اراك بعد اليوم ولا ان أتعرف عليك... اخرج!

فأجابها رالف:

- حسناً، حسناً، يا عزيزتي... لا تضطربي. انا آسف...

سأذهب الآن، ولكنك لا تريدين ان تبقي هنا طويلاً مع هذا الرجل الذي غادر المنزل الآن، فهو رجل سيء ذميم. خذي، هذا هو عنواني في الأسبوعين المقبلين.

ووضع ورقة على احد الكراسي وقال مودعاً:

ـ هذه هي الحياة!

وتبعته سارة الى عتبة الباب وراقبته وهو يبتعد عن المنزل. ودخلت العمة فيرا الغرفة، فيما أغلقت سارة الباب. وقالت لها العمة فيرا:

ـ اين الآخرون؟ هل ذهب زوج امك؟ ظننت انه سيقضي الليلة عندنا.

فأجابتها سارة بابتسامة:

ـ كان عليه ان يذهب.

اما الآن وقد انتهى الأمر، فانها شعرت بهدوء مريح. وتابعت قائلة:

ـ وجايسون ذهب ايضاً. اظنه عاد الى بيت فوريس. سيكملون السهرة هناك، ولكني لم احب ان أنضم اليهم.

ودنت منها العمة فيرا ووضعت يدها على كتفها وقالت:

ـ ما بالك؟ ماذا جرى؟

ـ لا شيء.. لا شيء على الاطلاق.

فتأوهت فيرا وقالت:

ـ لا بأس، ولكنك تبدين تعبة مرهقة، فاصعدي الى الفراش وسأتبعك بشراب ساخن.

فأجابتها سارة:

ـ ليتك تفعلين. كم أنا شاكرة لك عطفك علي.

وصعدت الى غرفة النوم واستلقت في الفراش، ثم لم تلبث فيرا ان أحضرت لها كوباً من الشراب الساخن وجلست قربها. فحدثتها سارة عما جرى في الحفلة وهي تفكر كيف يتسنى لها مغادرة المنزل قبل عودة جايسون.

وبعد حين نهضت فيرا مودعة، فاستوقفتها سارة قائلة:

ـ آسفة يا عمتي فيرا، لأني سأتركك غداً.

ففوجئت بهذا الخبر وصاحت:

ـ يا الهي! كنت أتمنى... كنت آمل... ولكن عليك كما يبدو ان تنضمي الى زوج امك. وكنت أجهل ان لك أقرباء، وجايسون لم يخبرني بشيء من هذا القبيل.

فقالت لها:

ـ كنت لطيفة معي أكثر مما استحق. ويؤلمني كثيراً ان أذهب.

ـ ولكنك ستعودين مراراً لزيارتنا... عديني بذلك؟

ـ نعم وبكل سرور.

وكانت سارة تعلم ان العمة فيرا لم تكن مقتنعة، وانها تأمل في الحصول منها على تفسير لموقفها المفاجيء، ولكن سارة لم تستطع ان تتكلم معها مع انها كانت راغبة في رواية القصة كاملة لها.

وانسلت سارة الى المخدة وقالت لفيرا:

ـ الحق معك، انا متعبة جداً.

فأجابتها قائلة:

ـ هذا ما بدا لي واضحاً.

وانحنت فقبلت سارة على خدها، وحملت كوب الشراب الفارغ وهي تقول:

ـ نامي نوماً هنيئاً يا عزيزتي، والله يباركك

ثم خرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

وكانت تلك الليلة أول ليلة في حياتها لم يغمض لها فيها جفن. حتى في تلك الليلة التي قضتها في مكسيكو مع جايسون، وهو نائم في الغرفة المجاورة، تمكنت من النوم ولو قليلاً. اما هنا فلا، ومع ان غرفة جايسون كانت في الجانب الآخر من المنزل، الا انها كانت تستطيع ان تسمع صوت خطواته عندما يعود. ولم تكن تعرف على الاطلاق ماذا تفعل اذا التقته مرة أخرى، ولكنها كانت تدرك في

أعماقها انها ما ان تراه حتى تنحل تلك القبضة الفولاذية التي تطبق على رأسها.

وجلست على الكرسي قرب النافذة وهي ترتجف، بالرغم من انها كانت تلتف بغطاء الفراش. ونظرت من النافذة الى الفجر يرسل نوره الفضي فوق البحر الواسع. وتعجبت كيف ان جايسون لم يعد الى المنزل حتى الآن.

ولما أصبح الصباح اغتسلت ولبست ثيابها، ثم رتبت أشياءها في الحقيبة التي اشتراها لها جايسون في مكسيكو، وفكرت كيف ان كل متاع تملكه اشتراه لها جايسون.

وفي الساعة التاسعة نزلت الى الطابق السفلي وأعدت لنفسها كوباً من الشاي. وكان المنزل هادئاً. والخادمة لم تكن تجيء الى عملها قبل الساعة العاشرة، هذا الأسبوع. وكان من عادة العمة فيرا ان تأخذ طعام فطورها الى غرفتها في الليلة السابقة.

وفيما كانت سارة تصعد عائدة الى الطابق العلوي، رأت ساعي البريد يلقي رسالة من شق الباب. فنظرت اليها وهي لا تتوقع ان تكون موجهة اليها. فلم يحن الوقت بعد لأن تتصل بها رئيسة المدرسة الآنسة غلي.

وكم كانت دهشتها شديدة حين كانت الرسالة من الآنسة غلي نفسها. ففتحتها على عجل وقرأت فيها ما يلي: «مستدهشين من سرعة اتصالي بك، ولكن بعد ان ودعتني خطرت لي فكرة قد تعجبك، وهي اننا نستطيع ان نجد لك عملاً هنا، في المدرسة، كمعاونة لمديرة الأعمال المكتبية. وخطرت لي هذه الفكرة نظراً الى انه من المستحيل ان تبدأي بمتابعة الدراسة، كما ظننته، والسنة الدراسية الآن في منتصفها. واذا قبلت بهذه الفكرة، فبامكاني ان اخصص لك غرفة وأدفع لك راتباً شهرياً متواضعاً. فالرجاء ان تجيبي في الحال».

وعلى ذلك توقيع الآنسة غلي.

وحملت سارة الرسالة الى غرفتها ووضعتها بعناية في حقيبة يدها

وهي تشعر بالارتياح لأن لها مكاناً تذهب اليه وعملاً مهيأً تقوم به. غير انها لم تشأ ان تترك أي أثر يدل على مكان وجودها. ذلك انها عزمت على ان يكون بين ماضيها ومستقبلها انفصال تام.

وسارت في الممر حتى وصلت الى الغرفة التي في آخره. كانت العمة فيرا جالسة في فراشها تشرب قهوتها، فابتسمت لسارة عند دخولها وبادرتها سارة قائلة:

- جئت لأودعك، فسأترك في الحال لألحق بالأوتوبيس الذاهب الى بورغوث.

فاختفت البسمة عن شفتي فيرا وقالت:

- آه يا عزيزتي، ظننت انك لن تغادري بمثل هذه السرعة والا كنت نهضت من فراشي باكراً وخرجت الى الخارج. هل تناولت طعام الفطور؟

فأكدت لها سارة انها فعلت. ثم عادت الى غرفتها، فحملت حقيبة سفرها ونزلت الى الطابق السفلي.

وكانت فيرا نزلت من غرفتها ووقفت في البهو، فقالت لسارة:

- يؤلمني ان أراك تغادرين بمثل هذه السرعة يا عزيزتي. هل انت متأكدة انك بخير؟ ستستقلين القطار في بورغوث، أصحيح هذا؟ وزوج امك هل هو في لندن؟

فأجابتها سارة:

- نعم، وسأتصل بك حالما اصل الى هناك.

فرمقتها فيرا بنظرة حائرة وأجابت:

- نعم، نعم، أرجوك ان تفعلي. طبعاً، جايسون يعرف انك ذاهبة... لم يعد الليلة الماضية، فلا بد انه قضى ليلته في بيت لوريس.

فقالت لها سارة:

- نعم، هو يعرف اني ذاهبة، لأننا اتفقنا على ذلك البارحة.

ووضعت فيرا ذراعيها حول سارة وقبلتها وقالت:

- اسرعي اذن يا عزيزتي، اذا كان عليك ان تلحقي بذلك الاوتوبيس. وكم أتمنى لو تبقين معنا.

فودعتها سارة وداعاً حاراً وخرجت من المنزل.

وحالما وصلت سارة الى المدرسة، ذهبت رأساً الى مكتب الرئيسة وطرقت الباب فلم تلق جواباً. وبعد قليل من الانتظار، جاءت الآنسة غلن بردائها الاسود الذي تصر ان تلبسه عند القائها الدروس، فرحبت بها ترحيباً حاراً ودعتها الى دخول مكتبها. وهناك قدمت لها كرسياً وهي تقول:

- اذن، تلقيت رسالتي.

فاجابتها قائلة:

- نعم، شكراً يا آنسة غلن. في وسعي ان ابدأ عمل الآن في هذه اللحظة

- يمكنك ذلك حقاً. وستفرح الآنسة باريت بالأمر لأن العمل المكتبي فوق طاقتها، وخصوصاً في مثل هذا الفصل من السنة. . . هل تعرفين الآنسة باريت؟ لا أظن انك تعرفينها لأنها تسلمت عملها هنا بعد ان تركت انت المدرسة. سآخذك وأعرفك عليها.

والقت نظرها على هندام سارة، فاستدركت قائلة:

- ولكن، ربما يكون من الأفضل ان تغيري ملابسك اولا وسآمر ماتروث في الحال ان يجيء لك، غرفتك في الطابق العلوي

وبعد ان شكرتها سارة، تابعت الآنسة غلن كلامها قائلة:

- يبدو ان احوالك لم تكن على ما يرام يا سارة. فالمتاعب التي صادفتك كانت قاسية. فاختلجت شفتا سارة ترتجفان وهي تقول:

- نعم، كل شيء. كان ضدي. وقصتي طويلة ولا وقت لك لسماعها. يكفي ان أقول لك اني لم أعد سارة تيلدسلي، بل أصبحت سارة نايت. تزوجت تيم نايت في مكسيكو منذ فترة وجيزة، ولكنه لاقى مصرعه يوم زواجنا في حادث اصطدام قطار. ودخلت المستشفى اثر تأثير الصدمة، وسرعان ما شعرت لأن الصدمة لم تكن

خطيرة.

وبدا التأثر واضحاً على وجه الآنسة غلن فقالت:

- يا لك من بائسة يا بنتي. والآن اخبريني هل انت حامل؟

- كلا، كلا. كل ما في الأمر هو ان لا مكان لي اذهب اليه ولا مال معي.

واخذت الآنسة قلماً وكتبت على ورقة امامها اسم سارة الجديد، فقالت لها سارة:

- هل تمانعين اذا لم اخبر احداً بالأمر؟ افضل ان ادعى تيلدسلي للذين يعرفونني هنا بهذا الاسم. وسانزع من اصبعي خاتم الزواج.

- لا بأس، اذا كان هذا ما تفضلين

وقالت سارة:

- وشيء آخر. . . هل يسمح لي بان افتش بين الملابس المهملة على اجد فيها ما البسه لأن ملابسي هذه لا تليق بعملي هنا، أليس كذلك؟

فأجابتها الآنسة غلن بعطف ظاهر:

- نعم، والأفضل ان تسارعي الى مكان الملابس المهملة فانت تعرفين مكانها.

ونهضت مودعة. وفيما هي تخرج وتغلق باب المكتب وراءها، كانت عينا الآنسة غلن تتابعان النظر اليها بتأمل شديد.

كانت المدرسة ملجأً أميناً. وكان العمل فيها كالمخدر. فخلال الاسبوعين اللذين يسبقان نهاية فصل الربيع الدراسي كان العمل يملأ جميع ساعات النهار. وكانت سارة تجلس الى طاولة صغيرة في غرفة الآنسة باريت. وكانت الآنسة باريت، بنظارتيها السميكتين، امرأة حلوة العشرة يطيب العمل معها، الا انها لم تكن من اللواتي يؤتمن على سر.

وتعلمت سارة بسرعة بعض الأعمال المكتبية التي اوكلت اليها، وتمرنت حتى صارت تطبع على الآلة الكاتبة باصبعين. وكانت تحاول

الآنسة باويت في كثير من الشؤون، حتى اصبحت تعرف كل مكان وكل شاردة وواردة في المدرسة.

وكان زملاؤها غادروا المدرسة في الصيف الفائت، ولم يبق سوى الطالبات الاصغر منها سناً، وهن لا يعرفنها، ولكن ينظرن اليها نظرة متسائلة كلما دخلن مكتب السكرتاريا. وكان اعضاء الهيئة التدريسية يخاطبنها بلطف وعطف، لانهن علمن من الآنسة اي مصيبة نزلت بها. وكانت سارة نزعت خاتم الزواج وعلقته بشريط في عنقها، فلم يكن يرى عندما تزرر قميص المدرسة الرسمي الذي كانت تلبسه بعد كل تلك الملابس الفاخرة التي تعودت خلال سنة واكثر على ارتدائها. وكان ذلك القميص الابيض كل ما استطاعت ان تجده ملائماً في خزانة الثياب المهملة. وكانت امكانية الالتقاء بجايسون واردة، اذا هي ذهبت الى المدينة، لذا تمنعت عن الذهاب اليها في الوقت الحاضر.

كانت حياتها المدرسية باهتة لا اثارة فيها. فكانت تشعر احياناً كأنها عزلت نفسها عن العالم وأن لا شيء [illegible] ان يلمسها او يبعث فيها الحياة من جديد. وفكرت سارة [illegible] التي صنعت هذا النوع من الحياة، حين جاءت الى الآنسة غلين تطلب معونتها. فعندما توفر المال الكافي يمكنها ان تبحث في مسألة التخصص بالأعمال المكتبية في المدرسة. ولعلها تستطيع ان تحظى بمنحة مالية لهذا الغرض، بمساعدة الآنسة موون فيصبح باستطاعتها ان تتابع دراستها العليا في احدى الجامعات البريطانية الكبرى، وبذلك تصبح بمنأى عن معرفة جايسون بمكان وجودها، أكثر بكثير مما لو بقيت في تلك المدرسة الواقعة في المنطقة التي يسكنها. وهكذا يخرج نهائياً من حياتها، مع العلم ان تحقيق ذلك لن يكون سهلاً، بل سيجعلها تقضي الليالي الطوال في ألم وأرق مريرين. فكثيراً ما كان يستولي عليها توق شديد الى نظرة منه، أو لمسة، تجعلها تحس بالحنان والحب.

وانتهى الفصل الدراسي، فشعرت المعلمات والعاملات في المدرسة

كان حملاً ثقيلاً أزيح عن أكتافهن. وعاد الهدوء الى المدرسة، بعدما خلت ارجاؤها من الطالبات والغادين والرائحين من زوارهن، وكذلك من معظم اعضاء الهيئة الادارية، ومنهن الآنسة موون المسؤولة عن تدبير المنح الدراسية. وفكرت سارة ان الوقت اصبح ملائماً لفاتحتها في الأمر.

ولكن قبل ان تفعل ذلك، أرسلت الآنسة غلين تستدعيها الى مكتبها، فلما دخلت بادرتها بالقول:

ـ اجلسي يا سارة وأخبريني هل طاب لك العمل؟ اخبرتني الآنسة باويت انها راضية كل الرضى عن مساعدتك لها.

فأجابتها سارة قائلة بلطف:

ـ سرني العمل جداً، واظن انني تعلمت منه الكثير.

ـ حسناً، وهل عندك أية خطط من أجل المستقبل؟

فكرت [illegible] الآنسة موون في امكان الحصول على منحة دراسية

وهنا قدمت الآنسة غلين الى سارة صحيفة لندنية، فيها اعلان عليه علامة بالأحمر، وقالت لها:

ـ قبل ان تتخذي اي خطوة في هذا الاتجاه، أظن انه من المفيد ان تقرأي هذا الاعلان.

فقرأت: يطلب من السيدة سارة نايت، ارملة تيموثي نايت، الذي توفي في مكسيكو في آذار (مارس) الفائت، ان تتصل بمكتب «برايت اند برايت» للمحاماة، في مدينة بول بمقاطعة دورست، وذلك بأسرع وقت ممكن. ويلي ذلك العنوان ورقم الهاتف.

وتطلعت سارة الى الآنسة غلين عبر الطاولة وهي تشعر ان شفتيها بدأتا ترتجفان وقالت لها:

ـ افضل ان لا اذهب. فأنا لا اريد ان اتعامل على الاطلاق مع عائلة زوجي.

وكانت الآنسة غلين تمعن النظر اليها، مما جعل سارة تشعر كأنها

امام قلعي يستجوبها بشأن ذنب اقترفته.

فقالت لها الآنسة غلن:

- اظن انه من الأفضل ان تذهبي. عليك مسؤولية يا سارة، فأنت الآن امرأة متزوجة. انا لا اعرف شيئاً عن الظروف، ولكن هذه الدعوة المنشورة في الصحيفة لا يمكنك تجاهلها.

وهنا عادت الى ذاكرة سارة كلمات الغيبة مكتاب في المستشفى، وهي. كوني شجاعة ولا تخافي من مواجهة الصعاب.

فقالت للآنسة غلن:

- الحق معك يجب ان اذهب.

فظهر الارتياح على وجه الآنسة غلن وهي تقول لها:

سأذهب بسيارتي هذا الصباح الى بول، وبمقدورك ان ترافقيني الى هناك. ولكن دعينا نرى أولا اذا كان بامكاننا ان نأخذ موعدا من المحامي.

وتناولت الصحيفة وقرأت رقم الهاتف في الاعلان، ثم طلبت مكتب المحامي وأخذت موعدا لسارة ذلك الصباح.

وحين انزلتها من السيارة أمام مكتب المحامي، قوت عزيمتها بقولها لها انها لن تقابل جايسون في المكتب، بل المحامي. فلعل جايسون لا يريد ان يراها، مثلما هي لا تريد ان تراه. كل ما عليها ان تفعل هو ان تقابل المحامي وتخبره بأنها لا تطمع في شيء من ميراث تيم.

وقالت لها الآنسة غلن ايضا، قبل ان تودعها:

- يمكنك ان تعودي الى المدرسة بنفسك.

فشكرتها سارة بحرارة وصعدت الى المكتب، وهناك اعلنت للفتاة التي استقبلتها انها سارة ثاني، وانها على موعد مع السيد برايت.

وحدقت فيها الفتاة متعجبة، لأن سارة في لباسها وهندامها لم يكن يظهر عليها انها صادقة فيما تدّعي، ثم قالت لها:

- تفضلي اجلسي يا سيدة ثانيت سأخبر السيد برايت

بحضورك.

وجلست سارة في مقعد مخملي بقرب النافذة وهي تشعر بشيء من الارتياح.

وبعد حين اخبرتها الفتاة ان المحامي مستعد لمقابلتها، وطلبت منها ان تتبعها الى مكتبه. وحين دخلت المكتب هب الى مصافحتها بوجه بشوش وأجلسها بمبالغة وتهذيب في الكرسي قبالته، كما لو كانت أرملة في منتصف العمر لا في عز شبابها.

وقال لها السيد برايت:

- هذا لطف منك ان تحضري الى هنا يا سيدة ثانيت، فالطريق من لندن طويلة... الا اذا كنت تسكنين مع العائلة!

فأجابته بتحفظ:

- كلا، كلا، لا أسكن مع العائلة. وهذا يجعلني اسألك اذا كان الاعلان نشر في الصحيفة باقتراح من جايسون.

فأجابها قائلا:

- لا، لا. لم اجتمع بالسيد ثانيت منذ عدة أسابيع، اي منذ عودته من الكسيك. تلفنت له ليعطيني عنوانك فلم يكن يعرفه. كل ما كان يعرفه عنك هو انك ربما كنت تقيمين في لندن.

وبعد صمت قليل تابع قائلا:

- أقدم اليك اخلص التعازي يا سيدة ثانيت.

فشكرته سارة وهي تشعر بالارتياح لأن جايسون لم يكن وراء الدعوة، اذن فهو لا يعلم عن مجيئها لمقابلة المحامي.

وفتح المحامي ملفاً سميكاً كتب عليه بأحرف بارزة: املاك تيموثي ثانيت، المتوفي.

ثم قال لها:

- هناك مسائل متعددة يجب ان نبحث فيها، مثل ان نتطرق الى معالجة قضية الأملاك... هذا قد يكون لك موضوعا غريبا، ولكن ارجوك ان تطلبي مني تفسير اية مسألة اقرأها عليك ولا تسترعيك

معناها.

ولم تستوعب سارة أي شيء مما قرأه عليها. وتلبية لطلبه أعطته وثيقتي ولادتها وزواجها، ثم توقفت عن سماع ما كان يقوله لها، وأخيراً لم تعد تحتمل، فقاطعته بقولها:

- أرجوك يا سيد برايتت!

فتطلع اليها من فوق الأوراق التي كان يقرأها فتابعت كلامها قائلة:

- أنا لا أفهم كلمة مما تقرأه عليّ يا سيد برايتت، ولن استطيع ان أفهم، مهما فسرت وشرحت لي. ولذلك أرى من الأفضل ان تقوم بتدبير كل شيء بمعزل عني.. فأنا لا أريد شيئاً على الاطلاق من ارث زوجي، بل اكتفي بتوقيع كل ما تريدني ان أوقعه، ثم دعني اعود من حيث أتيت.

فتعجب السيد برايتت من موقفها الغريب الذي لم يختبره بعد في مهنته وقال لها:

- ولكن يا سيدتي، سيكون من نصيبك بعد فرز حصة زوجك مبلغ كبير من المال... كبير جداً.

فوقفت سارة وقالت بحزم:

- لا أريد درهماً واحداً من هذا المال...

وحاول السيد برايتت ان يفهم موقفها هذا فلم تترك له مجالاً وأخيراً سألها عن عنوانها، فأعطته عنوان المدرسة لأنه العنوان الوحيد الذي لديها. فقال لها وهو يفتح لها الباب:

- سيكون عليّ ان ادعوك للمجيء الى هنا مرة ثانية.

- ألا يمكن ان يتم ذلك بواسطة البريد؟

- سأرى ماذا يمكنني ان أفعل يا سيدتي.

وكانا وصلا الى الطابق السفلي، فاذا بجايسون يتحدث ببشاشة الى الفتاة التي تستقبل الزبائن، فحياه السيد برايتت قائلاً:

- لم يخبرني احد انك هنا يا سيد تايت، تفضل..

وأشار الى السلم المؤدي الى مكتبه، فأجابه جايسون بدون ان يزيح نظره عن سارة:

- شكراً يا سيد برايتت، ليس الآن. سأتلفن لك للاتفاق على موعد.

ثم التفت الى سارة وقال لها:

- تعالي يا سارة، لي حديث معك.

ولم تتحرك سارة من مكانها واستولى عليها ارتباك شديد، فاصطكت ركبتاها وعجزت عن الكلام. ولو لم يمسكها جايسون بذراعها ويقودها نحو الباب، لما قدرت على ذلك بمفردها.

وعندما خرجا كان نسيم البحر منعشاً، فتمالكت نفسها وتحررت من جايسون وهي تقول له:

- ابتعد عني وإياك ان تلمسني.

فتوقفا على الرصيف خارج مكتب المحاماة وواحدهما ينظر الى الآخر. ثم قالت له سارة:

- كان هذا شركاً نصبته لي. اخبرني السيد برايتت انك لن تكون حاضراً.

فأجابها بتهكم:

- لكن السيد برايتت لا يعلم، على ما يبدو، كم هو سهل رشوة موظفيه، ولو بشال صغير من الحرير.

فصاحت به:

- انك تثير اشمئزازي.

والتفت جايسون شمالاً ويميناً كأنه يبحث عن شيء وقال:

- لا بأس، ولكن اين ينتظرك زوج امك؟ لا بد ان يكون معك!

فأجابت من غير تردد:

- أراك اخطأت فهمي كعادتك.

- أين هو، اذن.

- لا اعرف ولا أريد ان اعرف.

ونظر الى لباسها المدرسي وقال ساخراً:
ـ ومن أين جئت بهذا اللباس الجذاب؟
فحدجته بنظرة قاسية غاضبة وأجابت قائلة:
ـ اذا كان كل ما تريده هو ان توجه الي اسئلة لا أنوي الاجابة، فما
عليّ سوى ان أعود من حيث أتيت.
قالت هذا الكلام وسارت في اتجاه محطة الاوتوبيس.
ولكن جايسون تبعها في الحال ووقف امامها ليمنعها من التقدم،
ثم قال لها بصلابة وعزم:
ـ لن أدعك تذهبين الا بعد ان ننهي حديثنا.
ـ حسناً، ولكن بسرعة. . . وأحذرك.
فقاطعها قائلا:
ـ تعالي. سيارتي واقفة هناك.
وجلست في السيارة الى جانبه وهي جامدة كأن لا روح فيها. ولم
تعلم الى اين يتجه بها، ولكنه حين أوقف السيارة وجدت انها عند
شاطىء البحر. ونزل جايسون من السيارة وفتح لها الباب وهو
يقول:
ـ هناك امر أريد ان آخذ رأيك فيه.
وأمسكها بيدها وقادها الى سلم صخري في حائط الميناء، ومنه الى
قارب صغير مربوط في أسفل الحائط.
فصاحت به:
ـ ما هذا؟ هل تنوي اختطافي؟ وأية فائدة من ذلك ولا أملك
الفدية التي قد تطلبها؟
فأجابها وهو ينظر اليها شزراً:
ـ هذا ما تظنينه أنت.
ـ وهل نحن ذاهبان الى مركب ما؟
ـ نعم، فالمراكب مهنتي
وكان في الميناء عدد كبير من المراكب، بمختلف الانواع

والاحجام. وحين اقتربا من احدها قرأت سارة اسم «دياناه» عليه،
فارتعشت وخافت ان يكون هو المركب الذي يقصده. ولكن جايسون
مر بها في اتجاه يخت آخر اكبر من يخت اوليفر حجماً، وقال لها:
ـ اهلا وسهلا!
وقفز الى سلم اليخت ومد يده اليها لمساعدتها على اللحاق به.
وحين وقفت على ظهر اليخت، بعد ذلك بدقيقة او دقيقتين، تمتمت
ولكن بصوت مرتفع:
ـ هذا شيء رائع. هل انت صنعته؟
فأجابها بابتسامة عريضة:
ـ نعم، ويسرني ان [illegible] أعجبك. دعينا ننزل الى الغرفة.
وتبعته الى [illegible] وهي تقول:
ـ [illegible] وأجمل من يخت اوليفر.
فقال وهو لا يزال مبتسماً:
ـ صممته واشرفت على صنعه بنفسي لانه لي. . . وأنت وحدك
تلاحظين: اني لا أرضى الا بالأفضل في كل شيء!
وأحست سارة ان شيئاً في داخلها بدأ يضطرب، فقالت:
ـ وهل انت واثق من ذلك؟
ـ الى الآن. . . نعم!
فتجنبت سارة نظرته ومشت تتأمل اليخت باعجاب فتبعها ووضع
يديه على كتفيها واجلسها على كنبة وقال:
ـ دعينا نتحدث يا سارة.
ونظر اليها لحظة وهو واقف بقربها، ثم مال عنها وأخذ يتطلع
خارج النافذة ويقول متابعاً كلامه.
ـ لا أظنك تمانعين بأن تسمعي قصة حياتي، فهي ليست طريفة على
نحو خاص، كان كل شيء يسير على ما يرام بالنسبة الي، كنت أقوم
بالعمل الذي أحبه، حتى اني لقيت كل النجاح وعزمت على توسيع
نطاق العمل بحيث يشمل التصدير الى الخارج. وهنأت نفسي لأني

لم أكن متعلقاً بأية امرأة لئلا يأخذ ذلك من وقتي ويصرفني عن التركيز على عملي.

والتفت اليها وهي صامتة تستمع اليه، ثم تابع قائلاً:

- ولكن أملي هذا لم يتحقق، وسرعان ما وقعت عيني عليك ذلك اليوم في أكابولكو، وحين رميت ذلك الشبك في وجهي، شعرت اني اريدك اكثر مما أردت امرأة اخرى في حياتي.

واتسعت حدقتا عيني سارة لهذا الكلام، فتابع قائلاً:

- وبعد ذلك... حسناً، لا لزوم لسرد كل ما حدث. فأنت تعرفينه. وأظن ان الشياطين كانت لي بالمرصاد: الغيرة والحسد والغضب والحزن والألم والجشع...

وقهقه ضاحكاً وهو يغرز اصابعه في شعر رأسه ويقول:

- نعم، في الأسابيع الأخيرة صارعت هذه الشياطين كلها، وعبثاً حاولت اقناع نفسي بالتزام جانب التعقل. فكان الجواب نفسه يتردد في كل مرة... احبك يا سارة وأريدك في كل حياتي...

وفجأة خيم الأسى على وجهه وهو يقول:

- تصرفت معك تصرفاً مشيناً، فهلا تغفرين لي؟ يا لك من فتاة ساذجة بريئة.

واستولى الفرح على سارة ولم تستطع ان تضبط نفسها من شدة التأثر فتمتمت قائلة:

- نعم كنت ساذجة بريئة، ولكنك ذلك اليوم في كانكون، علمتني الشعور كامرأة! احبك يا جايسون.

فأجاب قائلاً:

- سارة، لم أكن انتظر هذا منك... كنت أظنك تكرهينني.

- حاولت جهدي ان أكرهك فلم أنجح!

وهنا تعطلت لغة الكلام وغرقا في نعيم من العواطف والذكريات.

- يا الهي، كم أنت جميلة يا حبيبتي. تعالي معي.

وعلى ظهر اليخت أخذ النسيم العليل يبرد حرارة خديها، فيما كانت ذراع جايسون تطوقها وهما يرسلان نظراتهما الى الأفق الأزرق البعيد.

وقال لها جايسون:

- ما رأيك ان نقضي شهر العسل في هذا اليخت يا حبيبتي؟

- سيكون ذلك النعيم كله... ولكننا ما انهينا بعد من ذلك الحديث الذي كنت حريصاً على التطرق اليه... اخبرني هل كنت تعتقد اني غادرت المنزل مع رالف عندما خابرني تلك الليلة؟

- كلا. ولعلك في مناسبة اخرى تخبرينني أين كنت طوال هذه الفترة.

- وهل لا تزال تعتقد اني طامعة بتلك «الغنيمة» كما كنت تردد مراراً؟

فمد جايسون يده وشد على خناقها بلطف وهو يقول:

- في تلك الأيام السوداء ظننت نفسي اني رجل عنيد ومتشائم وساخر، اما الآن فلم اعد كذلك. كل ما تخبرينني به أصدقه. واذا صادف ان التقينا رالف مرة اخرى، فسنأخذه في نزهة بحرية ونلقي به في الأعماق.

ضحكا معاً وتناول يدها اليسرى، وكانت اعادت خاتم الزواج لمناسبة زيارتها للمحامي، فرفعها الى فمه وطبع عليها قبلة وقال:

- ما جرى منه ثم كان من نصيبي أنا. ولا شك عندي انه يفرح لأجلنا الآن حيثما هو، فهو كان عنوان الفرح ويريده للجميع

فقالت سارة وقد عمت غشاوة على عينيها البنفسجيتين:

- نعم، نعم

ضمها اليه وهما يحدقان عبر الأمواج المتلألئة الى الأفق البعيد.